رواية

حسام عمر

obeikan.com

الكتاب: حرية وكرامة
المؤلف: حسام عمر

الطبعة الأولى: ديسمبر ٢٠١٥
رقم الإيداع: 2015-22654
الترقيم الدولي: 978-977-6445-45-1

إشراف عام : آية عفيفي
مراجعة لغوية : محمود عيد
اخراج داخلي: أيمن فخري
غلاف : NileDesign.com

كامل حقوق النشر والطبع محفوظة
دار الابداع للنشر والتوزيع
موقع دار الكتب الإلكتروني
العنوان : المعادي- ٥برج متوسط- ابراج عثمان
هاتف : ٠١٠٠٢٠٥٢٢٦٦
E-mail: info@daralkotob.com
www. daralkotob.com

obeikan.com

دار الكتب
Daralkotob

obeikan.com

obeikan.com

لـكل بنت مصرية بتحب بلدها بجد

أنا بنت مصرية بعشق تراب بلـدى

نفسى فى حرّيَّة تبقى حقى وواجبى

حـرية "ما اتعدهاش" بس بيها إنسانة

حـرية ليها أساس تربية دين وكرامة

حـرية ترفع راس بلدى وتبنى حضارة

يا بلادى أنا عاشقاكى مهما بتوجعينى

يا بلادى أنا شيلاكى فى قلبى وجوة عينى

ومهما شفت منك ومهما بتظلمينى

أنا فاكرة كلمة زمان اتقالت فى مدرستنا

إن مصـر دى أنثى ودى حاجة فرحتنـا

قالوا لنا مصـر جميلة لازم تكونى فى جمالها

قالوا لنا مصـر شريفة لازم تكونى شرفها

قالولنا مصـر حـرة قولنا اكيد بولادها

ولما طلعتلك ليه مُصِرَّة تحبطينـى

يا بلادى أنا عاشقاكى مهما بتوجعينى

obeikan.com

obeikan.com

إلى الشاب المصرى المجهول حتى الآن

هوه ده الجندى المجهول اللى فى كل فجر تلاقيه

مهما تحكى عنه وتقول صعب توصف حاجه فيه

ده اللى رفع العلم فى سينا

ده اللى سمعنا عنه فى حكاوينا

ده اللى قال للظلم لأ

ده اللى صوته صوت الحق

ده اللى ماركبش أى موجة

رغم فقره ورغم الحوجة

ده اللى كان أشرف كتير

من اللى باع حتى الضمير

هو ده اللى ماخدش فرصته

عشان كان كل قضيته

مصر تبقى حرة بجد

حتى ولو على جثته

obeikan.com

obeikan.com

إهداء إلى شهداء أعظم ثورة

ثورة الخامس والعشرين من يناير

الأحياء منهم والأموات

obeikan.com

obeikan.com

كابوس الرئيس

فى ليلة الخامس والعشرين من يناير ٢٠٠٦

الساعة العاشره مساء

سُمع صوت صُراخ يدوى بالقصر الرئاسى، فانطلق كل من فى القصر يضيؤون الأنوار ويتتبعون الصوت وهم فى حاله من الفزع، وإذا بالصوت خارج من غرفة الرئيس الخاصة، فاتجه الجميع إلى الغرفة ودفعوا الباب دفعة رجل واحد، وإذا بالرئيس جالس على سريره وهو يصرخ ويتمتم بعبارات غير مفهومة، لا يفهم منها أحد سوى: "لم ولن أرحل ابدًا".

وإذا بزوجة الرئيس تفزع بصوت أجش فى كل الموجودين:

"لقد انتهى الأمر، فليتوجه الجميع نحو غرفته للنوم".

وكأنها مديرة دار أيتام، وتفزع فى أطفال الدار ليتجمعوا فى غرفهم للنوم.

واتجهت ناحية الرئيس وهى تقول:

obeikan.com

"خير مالك فى إيه".

رد الرئيس بصعوبه بالغه :"كابوس.. هاهاهاها.. كابوس كابوس مفزع ومخيف".

وبدأ يقص عليها رؤياه وهو يرتجف ويشعر بخوف شديد حتى غرق مرة أخرى فى نومه من شدة التعب. واستيقظ صباحًا بمفرده وهو يظهر على ملامحه الإرهاق من ليلة أمس، وكأنه لم ينم منذ أسبوع .

توجه بصعوبه إلى الحمام الخاص بالغرفة، وبدأ يضبط التايمر على الماء الدافئ، وخلع ملابسه وألقى بنفسه فى البانيو ومدد واسترخا وهو يصدر آهات من شدة التعب، وظل فى الماء الدافئ لمده تقرب من خمس عشرة دقيقة.

وفجأة نهض من البانيو وكأنه تذكر شيئا ما، وجفف جسده وارتدى ملابسه الداخلية البيضاء، وخرج بسرعة فائقة من الحمام، وعلى غير العادة بدأ يصفف شعره بنفسه، وارتدى أيضًا ملابسه بنفسه وبسرعة، وكأنه طالب بالجامعة سوف تفوته المحاضرات، وظل يجرى عدة مكالمات تليفونية بالمقربين إليه وألزمهم بالحضور فورًا على وجه السرعة، حتى جاء الجميع بالفعل وهم يجهلون أسباب هذا الاجتماع المفاجئ، وبناء على تعليمات السيد الرئيس تم دخولهم إلى القصر

والانتظار فى صالة الاجتماعات، وتساءل البعض عن أسباب هذا الاجتماع؛ حيث وجه الجميع السؤال إلى خالد عزيز رجل الأعمال، فهو أقرب الأقربين إلى الرئيس، ولكنه رد بأنه لا يعلم شيئا.

وفى هذه اللحظة دخل الرئيس وهو يصطحب ابنه أمين عام الحزب الحاكم إلى الغرفة، نهض الجميع من أماكنهم واقفين للتحية، فقام برد التحيه عليهم بنوع من التعالى - وهو غير معتاد ذلك مع المقربين إليه -

وجلس على المقعد الخاص به وقال: "فى موضوع مهم عايز رأيكم فيه".

رد الجميع فى نفس واحد: "خير يا ريس"؟

الرئيس : "أنا قررت إلغاء ميدان رمسيس".

فبدأ الاندهاش على وجه الجميع، ولكن لم يتجرأ أحد أن يستفسر من الرئيس سوى خالد عزيز:

"خير يا فندم فى حاجة حصلت"؟

فقام الرئيس بتعنيفه وقال: "اللى أقول عليه يتنفذ من سكات، أنا جبتكم النهارده عشان تقولوا لى الطريقة اللى ألغى بها الميدان، لكن مفيش مناقشة فى القرار ده".

ونهض الرئيس من مقعده، فوقف الجميع وقال: "غدًا يكون أمامى مشروع لإلغاء الميدان، عايز مشروع ليه معنى حتى يمنع التساؤلات عنا، أنتم فاهمين"؟

كان منفعلا بشكل ملحوظ، مما جعل الموجودين لا يستطيعون الردأاو الاستفسار عن هذا الأمر، وأشار بيده نحو الباب فانصرف الجميع.

وجلس الرئيس مرة أخرى أمام ابنه الذى لم يخرج منه أى رد فعل خلال الاجتماع حتى تكلم أخيرًا:

"يا والدى عايزك تهدأ كدة وتقول لى كل ده ليه؛ يمكن أفيدك ويكون عندى الحل".

الرئيس : "كابوس إمبارح كان بسبب الميدان ده، حلمت أنه قد خرج مئات الآلاف فى مظاهرات حاشدة يطالبونى بالرحيل، واعتصموا فى هذا الميدان حتى أصبحت مليونية، وأجبرونى على التنحى".

وبشيء من الخوف قال: "من الآخر أنا اتشائمت من الميدان ده، ولابد من إلغائه حتى لو تكلف الأمر صرف الملايين".

وكانت هذه عادةً هى حكمة الرئيس المزيفة فى حل مشاكل المجتمع، بدلًامن صرف الملايين فى الإصلاح والبناء والتنمية وحل أزمات المواطنين؛ وجد أن الحل الأسهل هو إلغاء الميدان.

الميدان الذى هو من أهم ميادين مصر حيث يوجد به محطه مصر، ويوجد به جميع المواصلات المؤدية لكل ضواحى القاهرة والمؤدية لكل المحافظات.

رد الإبن باندهاش : "مستحيل الناس تخرج عليك، من الممكن أن يخرج أعداد قليلة جدًا، ودول أضعف من ذلك بكثير".

وحتى يدخل الطمأنينة بداخل والده قال: "يا والدى كل حاجة مترتبة، ومستحيل أن يثور المصريون؛ فهم أجبن من ذلك بكثير".

ولكن الكابوس بالنسبة للرئيس كان أمرًا مفزعًا، مما جعل الرئيس يقول بحدة وغضب: "أنا اتخذت القرار وخلاص مش هارجع فيه".

الابن: "خلاص اللى أنت شايفه".

بات الرئيس ليلة كئيبة حتى اليوم التالى؛ حيث تقدم له من أحد المقربين مشروع ضخم لإلغاء الميدان، فأمسك بالمشروع والقى به على المنضدة - فهو لايحب القراءة - وقال الرئيس: "قص علىَّ هذا المشروع".

صاحب المشروع : "الخطوة الأولى لإلغاء الميدان نقل تمثال رمسيس".

فبدأ الاستغراب على وجه الرئيس، ولكنه لم يقاطعه، فأكمل صاحب المشروع: "وإنشاء مجموعة من الحدائق العامة والأسوار الحديدية تحيط بالحشائش الخضراء لمنع وقوف أى وسائل للمواصلات فى الميدان، ونشر قوات الشرطه بكثافة لحفظ النظام.

فانبهر الرئيس ورد: "برافو عليك، هذا هو المطلوب".

فقد قال صاحب المشروع ما يريد الرئيس عمله بالفعل، وكأنه يعلم السبب وراء إلغاء الميدان.

الرئيس: "وما ميزانية هذا المشروع"؟

صاحب المشروع: ٣٥ مليون جنيه؛ لأن نقل التمثال سيتم بالتعاون مع شركه أجنبيه، لأنه بناء ضخم وسقوطه سوف يسبب كارثة فى المكان.

فهز الرئيس رأسه: "مش مهم التكلفة، المهم تطبيق المشروع فى زمن قياسي".

وفعلا تم نقل التمثال فى ٢٥ أغسطس ٢٠٠٦، أى بعد سبعة أشهر من كابوس الرئيس.

وأغفل الرئيس أن الثورة فكرة، وليست متعلقة بمكان.

فبعد خمس سنوات وفى مثل هذا اليوم ٢٥ يناير ٢٠١١ من ميدان التحرير، الذى يبعد أمتار عن ميدان رمسيس أجبر المتظاهرون الرئيس على التنحى، وإذا بالحلم يتحقق.

فالكابوس بالنسبة للرئيس كان فى نفس الوقت هو حلم كل المصريين.

obeikan.com

obeikan.com

" ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ "

فرحة عارمة تسود البلاد بعد خطاب التنحى، امتلأ الميدان على آخره، وجميع ميادين مصر تحتفل بانتصار الثورة وإسقاط نظام مبارك، وانطلق الشعب فى كل شوارع مصر يحتفلون ويرقصون بأعلام مصر وسط هتاف "الشعب خلاص أسقط النظام".

مشهد لم يعشه المصريون من قبل، أحاسيس كانت مكبوتة لسنوات طويلة، وانتصارات غابت عن هذا الوطن، وإحساس دائم بالفشل والعجز، ولكنَّ المصريين دائمًا على موعد مع التاريخ.
ولكن الوضع بالنسبة لأحمد كرامة هذه الليلة كان مختلفًا بعد قضائه ثمانية عشر يوما فى الميدان.
قرر أحمد الذهاب إلى المنزل وهو يعانى من ألم بقدمه اليسرى، دخل أحمد حجرته ومدد على الأريكة وظل يحدق فى سقف الحجرة وهو يتذكر أيام الثورة من لحظات جميلة ولحظات صعبة، وهو لم يصدق أن الحلم أصبح حقيقة والثورة نجحت فى إسقاط النظام، وهو يتمنى أن يكتمل الحلم وتتحقق أهداف الثورة على أرض الواقع.

obeikan.com

(١)

ارتفع أذان الفجر من مأذنة مسجد السيدة عائشة المقابلة للعمارة التى يسكن فوق سطحها أحمد كرامة فى الغرفتين الموجودتين أعلاها اللاتى استأجرهما والده فى الثمانينات عندما زحف إلى القاهرة من مدينه أسوان باحثًا عن مصدر رزق له ولأولاده أحمد ومحمد، وزوجته سيدة.

ملأ الأذان غرفة سيدة حتى استيقظت من نومها لتتوضأ وتصلى الفجر، فتوجهت إلى الحمام المقابل للغرفتين، وتوضأت وارتدت على عبائتها خمارها الأبيض الذى عندما ينسدل على كتفيها يعكس مع وجهها شمعة توضئ البيت بنور الإيمان والصبر.

على الرغم من أن سيدة كانت سمراء اللون، ولكن ملامحها النوبية كانت تظهر طيبتها التى ورثتها من أرض أسوان الطيبة وطَمْى النيل الذى اغتسلت به فأعطاها بشاشة تأخذ القلب والعقل معًا.

openkan.com

وقفت على سجادة الصلاة لتؤدى الفريضة، ورفعت يدها إلى السماء داعية الخالق أن يحفظ أحمد ويحميه ويصلح حاله، وترحمت على موتاها وموتى المسلمين أجمعين.

حتى تذكرت ابنها محمدًا فظلت تبكى وتدعو له بالرحمة: فهو الابن الأصغر الذى ضاع ضحية للإهمال والفساد

(هذه الرحله المشؤومة التى لم تنساها أبدًا).

الإذاعة الداخلية لمحطة مصر تعلن عن تحرك القطار رقم ٨٣٢ المتجه لمدينة أسوان.

-"برجاء سرعة التوجه إلى القطار".

وما أن سمع الحاج كرامة زمجرة القطار وصريخه حتى أسرع نحوه وهو يحمل حقيبه كبيرة، وأحمد من ورائه يحمل حقيبة صغيرة، وسيدة تمسك فى يدها اليمنى محمدًا وتهرول من ورائهم، يسرعون إلى القطار للذهاب إلى ذويهم لقضاء إجازة العيد، والفرحه تغمر وجوههم، (فلهم عدة سنوات لم يستطيعوا الذهاب لرؤيه أقاربهم نظرا لظروف المعيشة القاسية فى القاهرة)، حتى ركبوا القطار وجلسوا على الدكة الخشبية، ووضعوا فوق رؤوسهم الحقيبتين معلقتين على رف من الحديد مصنوع خصيصا لحمل الحقائب اليدوية.

وبعد تحرك القطار بساعات قليلة فى الساعة الواحدة صباحًا أحس الركاب بدخان كثيف أتى من العربة الخلفية، وهى العربة الأخيرة للقطار.

وما أن سمع الركاب صوت الصراخ بدؤوا يتركون أماكنهم، ويحاولون أن يفهموا ما يحدث، وفى غضون لحظات امتدت ألسنة اللهب إلى العربة الموجود بها الحاج كرامة وأسرته.

فهرول الجميع ناحية باب عربه القطار بعد فشلهم القفز من النوافذ لوجود قضبان حديدية عليها لا يعلم أحد ما وظيفتها.

أمسك الحاج كرامة بأحمد فى يده اليمنى، وسيدة فى اليد اليسرى وفى يدها محمد وسط صرخات الجميع، وألسنة اللهب التى تطاردهم، وكأنها ذئب مسعور يجرى ورائهم لِيَلْتَهِم فريسته، وبالفعل تشبث جيدًا كرامة بهم وطلب منهم القفز من القطار مرة واحدة فقفز الجميع من القطار، إلا أن محمدًا تعثر من يد سيدة، فوقع فى نار جهنم لكى تلتهمه، ففى لحظات تفحم محمد وأصبح هيكل إنسان مصنوع من الفحم.

لم تنس سيدة هذه اللحظات ابدأ.

حتى جاءت عربة الإسعاف وحملت المصابين والضحايا إلى المستشفيات، ولم يُصِب كرامة وسيدة وأحمد إلا بعضُ الكسور، وحرق فى يد سيدة،

عندما حاولت جذب محمد من النيران، ولكن لم يؤثر هذا فى سيدة إلا فى حالتها النفسية بعد أن شاهدت ابنها فى النار بأم عينيها وهى لم تستطع أن تحميه، فظلت تعانى من اضطرابات نفسية.

لم تتغلب عليها إلا بإيمانها وبوقوف الحاج كرامة بجانبها الذى كان رجلًا بمعنى الكلمة، وعمود البيت، الرجل القوى الصابر الذى يتحمل المحن بصلابته وقوة إيمانه.

أما أحمد فكان لهذه الحادثة أثر سلبى على شخصيته، فأصبح قليل الانتماء لبلده، دائم التفكير فى تركها، فكان يراها بلدًا عاجزة عن حماية أبنائها، بل وظالمة وجاحدة عليهم؛ خاصة بعد ما انتهت القضية الخاصة بالحادثة ببراءة جميع المتهمين، وأصبحت الحقيقة الوحيدة فى الأمر هى (موت أكثر من ٣٥٠ مواطنًا مصريًّا ضحية الإهمال والفساد) فساد نظام بأكمله.

كان كل هذا يدور برأس سيدة حتى بدأت تتحسس الحروق الكامنة بذراعها من أثر الحادثة، وبدأت تترقرق عيناها بدموع غزيرة.

حتى أشرقت الشمس، فصلت ركعتى الضحى، وما إن فرغت من صلاتها حتى سمعت صرير باب غرفة أحمد، فنظرت خلفها فوجدت أحمد مرتديًا ملابسه ومستعدًا للخروج.

- أم أحمد: "صباح الخير يا حبيبى، رايح فين كدة مش النهاردة إجازة"؟

- أحمد :"صباح الخير يا أمى"، وقام بتقبيل رأسها ويدها.

وقال: "أنا شغال فى شركة قطاع خاص، مفيش إجازات، عندنا ضغط شغل".

كانت ملامح أحمد مرهقة للغاية، وكأنه لم ينم من ليلة أمس.

عيناه.. يظهر بأسفلهم سواد من شدة التعب، ووجه شاحب للغاية، شحوب المرض، وسماره غير متناسق مع شعر ذقنه المتناثر فى وجهه فى أماكن دون أخرى، ونبرة صوته منخفضة كأنه منكسر، ولكنَّ عينيه واسعتان مفتوحتان على آخرهما، يحملان إصرارًا وعزمًا على شيء ما مُقْدِم عليه ولا يتراجع عنه.

فبنوع من القلق اقتربت أم أحمد من ابنها وهى تقول بصوت مخنوق: "إوعى تكون يا أحمد نازل المظاهرات بتاعة النهاردة".

- أحمد: "أمى أنتى عارفة إنى مش بتاع الحاجات دى، أنا طول عمرى فى حالى ومليش دعوة بالسياسة، وأنتى أكتر واحدة عارفة أنى تخليت عن الإنسانة الوحيدة اللى حبتها وعن حق أخويَ ووالدى عشان مليش فى الكلام ده".

قال أحمد هذه الكلمات دفعة واحدة بمنتهى الحدة والغضب.

- أم أحمد : "فى إيه يا أحمد أنت ما اتخلتش عنها ولا عن حق أخوك وأبوك، أنت راجل يا أحمد وبتحافظ على أمك، مش كفاية أبوك حب يعمل زعيم وشفت اللى جرا لنا، خلِّينا يا ابنى ماشين جنب الحيط، عاوزين نعيش مستورين".

كان قد فاض الكيل بأحمد وكان ينتابه إحساس بالسخط على أفكار أمه واستسلامها للظروف وكلامها الذى يدعو للانكسار، ولكنه كان يشفق عليها من داخله لأنه يعلم جيدًا مدى معاناتها من أجل تربيته،

وكأن شريطا سينمائيًا يمر من أمامه يذكره بحرية عبد السلام حب عمره وخسارته لها إلى الأبد، وحادثه أخيه محمد، وحقه الذى لم يأت حتى الآن، ولم يحاسب أحد عليه.

وتذكر أيضًا ما حدث لوالده لحظة خروجه من محبسه بعد القبض عليه من قِبَلِ أمن الدولة وقضائه يومين لا أحد يعرف عنه أية شيء، وما كان يعانيه والده من انكسار وإحساس بالمهانة، فأنسب وصف لحالة والده فى هذه اللحظة هو ما قالته أمه وقتها: "أبوك اتقهر يا ابنى وكسروا نفسه ولاد الكلب".

وبعدها بساعات قليلة سُمِع صراخها يدوى فى أركان البيت.

(٢)

لم تكن تعلم حرّيَّة عبد السلام بنت المحلة أنها سوف تترك القرية التى لم تخرج منها إلا اليوم لتذهب لخالها عويس للإقامة بمنزله لقضاء فترة الدراسة بجامعة القاهرة لالتحاقها بكلية "اقتصاد وعلوم سياسية".

لم تنس حرّيَّة لحظة خروجها من قريتهم، وفى يدها خالها عويس الرجل الفضائى الذى كان يهبط على القريه التى تعيش فيها أخته فاطمة أم حرية.

رجل من كوكب آخر يرتدى قميصا أبيض مكويا بعنايه وبنطلونا أسود جينز مستقيما يبرز طوله، وجاكتا هافان جلد ثعبان، وحذاء بَنْص بُنيًّا داكنًا له سن بارز كأنه قارب.

وسيدات القرية الجالسون أمام ديارهم يرمقونه بأعينهم "عويس ابن عم حسانين المزين اهو".

فكانوا يطلقون هذا الاسم على والده، فهو كان أقدم من فى القرية امتهن هذه المهنة "قص الشعر، وحلاقة الذقن، ولا مانع من طهارة الأطفال"

كان والده رجلًا أنيقًا للغاية، وتصرخ أكبرهم سنًا: "يالهوى زى القمر زى عم حسانين فى شبابه"، وتتكلم أحدهما: "كان بيزور أخته فاطمة حريات"، وتطلق ضحكه فجة: "فاكرين يا ستات فاطمة دى زمان كانت عاملة ازاى "بميت راجل".

كانوا يطلقون عليها هذا الاسم نظرًا لنضالها الثوري.

فكانت دائما تجمع نساء القرية وتدعوهم للمطالبة بحقوقهم، وإن المرأة نصف المجتمع ،وخاصةً الست الريفية لها عامل كبير فى بناء المجتمع، وأن لهم حقوقًا وحريات لابد من المطالبة بها.

فأكثر ما عَلِق فى أذهانهم كلمة "حريات"، فكانت ترددها كثيرًا حتى أُطلقت عليها وتعاقبت الأجيال وأصبح مرتبطًا باسمها، ولم تعترض فاطمة يومًا على هذا الاسم أبدًا، بل كان يسعدها وكانت فخورة به.

تسمع حرِّيَّة السيدات وهم يتغمزون ويتلمزون على خالها فتشد على يده وترفع رأسها فى عنان السماء، وتسير بشموخ وكأنها تسير مع حبيب.

فبالفعل كان عويس أنيقًا للغاية، طويل البنيان، ورغم سنه الخمسينى، لكنه كان وسيمًا.

يشبه ملامح الفنان صلاح قابيل فى بعض ملامحه، وخصوصًا مجموعة الخصلات البيض فى مقدمه الرأس، أما بواقى الشعر أسود قاتم، وجسده النحيل الممشوق ومشيته الواثقة من نفسها.

-حرية عبد السلام: "وصلت أنا وخالى إلى المحطه واستقلينا سيارة أجرة بيجو حمراء اللون ذاهبة إلى ميدان الجيزة، ركبنا فى المقعدين الأماميين بجوار السائق، وبدأت أنظر فى الطريق وأنا هائمة فى الحياة الجديدة المقدمة عليها وما تحمله لى من مفاجآت.

وبالفعل وصلنا إلى ميدان الجيزة واستوقف خالى عربة أجرة أخذتنا حتى منشأة ناصر، نزلنا منها بالشارع الرئيسى، عوبرنا الطريق حتى استوقفتنا صافرة قطار قادم، لم ينبهنى إلا خالى لوجوده فبالفعل كنت سارحة".

-حرية: خالى هو القطار ازاى بيعدى فى وسط منطقة سكنية كدة"؟!

-عويس: عادى يا حرِّيَّة كل حاجة غلط فى بلدنا بقت عادى، ولعلمك احنا لما اشتكينا عارفة قالوا لنا إيه؟ قالوا لنا القطار ده موجود من قبل ما تسكنوا فى المنطقة، يعنى أنتم اللى جايين عليه".

-حرية: "بس ده خطر يا خالى، ده ممكن حد يموت".

-عويس : "يا بنتى كتير قوى ماتوا هنا، مفيش شهر بيعدى غير ويبقى حصيلته تلاتة أو أربعة، يعنى بمعدل واحد كل أسبوع".

-حرية: "طب مش مهم يشيلوا القطار، طب حتى يقف عسكرى ولَّا يتعمل مزلقان".

-عويس: برضه اشتكينا وقولنا، ومحدش سأل فينا، يا بنتى الإهمال فى البلد دى بقى حاجة عادية، وكمان زى ما انتى شايفة الناس اللى عايشة هنا محدش شايفها أصلا، إحنا مش فى حساباتهم أساسًا، الله يرحمك يا ناصر، آخر حاجه فضلت لينا منه اسم المنطقة، أكيد لو موجود ماكنش يرضيه كدة".

مر القطار بعد أن أصدر زمجرة وصريخًا مزعجًا للغاية، ورج بجانبه الأرض والبيوت الموجودة بجواره، فعبرنا القضبان، وأصبحنا بالفعل فى منشية ناصر، اصطدمنا بمقلب قمامة كبير يغطى بالذباب والحشرات بجميع أنواعها، وتشع منه روائح كريهة، وعندما تصل إلى آخر المقلب تجد سلالم تؤدى إلى الشارع الرئيسى من منشية ناصر، فهو شارع شديد التعرج وغير ممهد لمرور السيارات، وتخرج منه شوارع غارقة فى مياه الصرف الصحى.

فعلى الرغم من أن منشية ناصر تقع غرب مدينة نصر وشرق القلعة، ولا يفصلها عنهما إلا طريق صلاح سالم؛ إلا أنها منطقة مهمشة للغاية.

أشاهد كل هذا بأم عينى دون رد فعل، فأصبحتُ فى حالة من الذهول، هل هذه القاهرة التى قرأتُ عنها وشاهدتها فى التلفاز، هل يهاجر المواطنون من بلادهم ويزحفون عليها ليعيشوا هذه المأساة؟!

حتى أفقت على صوت خالى: "خلاص يا حرِّيَّة قربنا نوصل البيت، احنا داخلين على الدويقة اللى احنا ساكنين فيها" ولم أتخيل ما رأيته؛ تلة مرتفعة بها عدة مساكن متناثرة، وكأنها سقطت من الفضاء بشكل عشوائى، بيوت هنا وهناك يحيط بها صخور وتلال منطقة فى شدة الوعر، المنازل عبارة عن مربعات ومثلثات ومرتفعات ومنخفضات وشوارع ضيقة.

حتى وقف خالى أمام بناية عتيقة عمرها أكبر من عمر هذه الصخور، المُبْنى مكون من طابقين، يميل ناحية اليمين، وكأنه مستعد للسقوط فى أى لحظة، والشبابيك عبارة عن مشربيات، وكأنك تشاهد فيلمًا (أبيض وأسود)، ودكان أسفل البيت عبارة عن ورشة نجارة صغيرة، رائحة نشارة الخشب والغِرَى ملأت أنفى، ولكنها كانت أرحم بكثير من رائحة القمامة ومياه الصرف، حتى صعدنا على سلالم غير مريحة لم أحس

فيها بوضع الصعود، بل أحسست أننى أتسلق قمة جبل إفريست، لم يحمِنى من التعثر سوى تربزين من النحاس يطوق السلم.

حتى وقفنا أمام الشقة، باب خشبى مطلى باللون البنى الغامق، يتوسطه شباك صغير من الزجاج محمى بقضبان من الحديد.

طرق خالى الباب ثلاث خبطات متتالية، وكأنها إشارة لمجيئه، فأسرعت هند، وما إن فتحت باب الشقة وجدتنى أمامها فاحتضنتنى ورفعتنى من على الأرض، وظلت تقبلنى أكثر من دقيقتين، كانت هند تشعر بسعادة لا توصف.

أخذتنى من يدى ومرت بالطرقة المؤدية لغرفتها، فكانت الشقة عبارة عن غرفتين تتوسطهم وتفصل بينهم طرقة يوجد ببدايتها كنبة وكرسيَّان، وما إن تمر منها حتى تجد الحمام، وفى آخر الطرقة بوتاجاز مصانع من الطراز القديم، وتعلوه مطبقية حاملة لبعض الأطباق، ووحدات أدراج صغيرة تحتوى على بعض أدوات المطبخ، وستارة من القماش تخفى كل هذا.

دخلت هند وأنا معها غرفتها، وهى عبارة عن غرفة صغيرة تأخذ سريرين صغيرين من طراز شمعدان (وهو سرير خشبى مطلى بلون الخشب) ودولاب صغير ومكتب، وبها شباك ينظر على الشارع، عندما تنظر منه

كأنك تعلو برج مراقبة لأحد الوحدات العسكرية، من شدة وعر المنطقة وارتفاعها عن الشارع الرئيسى.

فقد ابتاع خالى سرير هند القديم، وصنع له عم حسين النجار الموجود أسفل البيت هذين السريرين، ومكتبًا خشبيًّا للمذاكرة عليه، فأنجزهم له عم حسين قبل قدومى كما قالت لى هند.

وقفت هند بين السريرين، ورمقتنى بنظرة ضاحكة.

ومطت شفتيها للإمام وقالت: "اختارى يا حرّيَّة سريرك".

-حرية: "أى حاجة يا هند مش فارقة".

-هند: "عارفة.. كان هنا سرير واحد وبابا باعه، وجاب بداله السريرين دول.. عارفة ليه؟

-حرية: "ليه يا فالحة".

-هند: "قالى علشان مش هينفع تنامى أنتى وحرية على سرير واحد، أنتى بَكَابُزَّة وممكن تفطسيها".

ووضعت يدها فى خصرها: "عاجبك كدة"؟!

ضحكت حرِّيَّة ضحكة رقيقة للغاية بدون إصدار صوت، ولكنها تكشف عن أسنان ناصعة البياض، رصت بعنايه إلهية، وقالت: "طب وأنتى عاملة فى نفسك كده ليه.. ما تخسى يا بنتى".

-هند: أنتى كمان يا حرية؟! ربنا يسامحك".

-حرية: أنا بهزر معاكى فين التخن ده، دا أنتى يا دوب مليانة شوية، ونظرت لها بنظرة تعجب، ولكن فيها سخريه لمداعبتها: "هى بصراحة مش شوية، دول شويتين".

أمسكت هند بالوسادة الموجودة على السرير وألقتها وانقضت فوق.

وهى تقول: "أنا بقى هفطسك"، حتى ملأت ضحكاتنا أركان البيت .وجلسنا سويا نسترجع أيام الطفولة الجميلة

(٣)

أشرقت الشمس من وجه حرية، فاليوم هى ذاهبة إلى الجامعة، تشعر بسعادة لا توصف، حياة جديدة مقبلة عليها، أسرعت إلى الحمام، وصلت الصبح وقرأت القرآن ورددت بعض أذكار الصباح، كل هذا وهند غارقة فى نومها، حتى فتحت حرِّيَّة الشباك الذى يعلو سريرها، حتى ملأ ضوء النهار الغرفه، وصبت الشمس حرارتها على وجه هند حتى قامت وهى تصرخ فى حرية: "يا بنتى عايزه أنام حرام عليكي".

- حرية: "يللا قومى مفيش وقت اتأخرنا الساعة ثمانية".

- هند: "اتأخرتى إيه يا بنتى هو انتى رايحة المدرسة وهيفوتك الطابور"؟

- حرية: "ها ها ها... بايخة أنجزى يا أم دم خفيف".

بدأت هند ببطء تتحرك من على سريرها حتى أصدر "زق زق زق" فضحكت حرِّيَّة وهى تقول: "يا بنتى حرام عليكى، الله يكون فى عون السرير ده إنه مستحملك، ده مش هيكمل معانا الموسم ده".

قفزت هند من على سريرها، وأمسكت بشعر حرِّيَّة المنسدل على كتفيها، فصرخت حرية.

- هند: "شوفتى إنك مش قدى يا معصعصة، يا بنتى ده أنا كلى مواهب مدفونة".

- حرية: المواهب برضو هى اللى مدفونة، ولا انتى اللى دفنة روحك جوة شوال لحم"؟!

جذبتها هند من شعرها وألقتها على السرير وهى تقول: "هوريكى شوال اللحم ده هيعمل فيكى إيه"، وقفزت فوقها كذئب روسي.

حرية بصوت متقطع: "الحقونى هافطس".

سمع صريخها عويس فدفع الباب، وجد هندًا ملقاة على حرية.

- عويس: بتعملى إيه يا بنت الكلب هتفطسى أختك".

فقامت هند، وكعادتها وضعت يدها فى خصرها: "هى اللى بتستفزني".

رغم احمرار وجه حرِّيَّة وأنفاسها المتقطعة ضحكت وهى تقول: "ماشى إما وريتك يا بكابزة".

فضحك عويس: "شفتى حرِّيَّة كمان بتقولهالك، عشان تعرفى إن ده مش رأيى لوحدى، حتى عليت ضحكاتهم أركان البيت".

ارتديت هند ملابسها الفضفاضه حتى لا تبرز جسدها المكتظ، وانطلقت وفى يدها حرِّيَّة متجهين إلى الجامعة.

obeikan.com

obeikan.com

(٤)

أحاسيس مختلفة فالوضع بالنسبة لهند فهو العام الثانى فى الجامعة، فلا يشغل بالها سوى مقابلة زملاء الدراسة فى العام السابق، أما حرية، فهو عامها الأول، إحساس جديد ومختلف لم تشعر به من قبل.

وما أن دخلت حرّيَّة من باب الجامعة - وكأنها تحلق فى عنان السماء - فظلت تنظر باندهاش لكل ما حولها وهى تتأمل هذه الحياه الجديدة.

أماكن فسيحة مليئة بالحشائش الخضراء والأزهار والورود، وكأنها داخل حديقة شاسعة ومبان أثرية مبهرة ورائعة.

حتى شعرت للحظات أنها داخل متحف، فهى مبان مختلفة تماما عن مبانى المدرسة، المبانى الضيقة الكئيبة رغم حداثتها، والألوان الذاهية هنا وهناك، الجميع يرتدى أشكالًا وألوانًا مختلفة، على نقيض المدرسة وزيها الموحد الذى ترتديه طوال العام، حتى يصيبك نوع من الملل.

بالفعل هى حياة مليئة بالبهجة والصخب فى كل شيء، وفى نفس الوقت تتمتع بالهيبة والوقار والجلالة، اتجهت بها هند إلى مدرج (أ) حيث ينتظرها زملاء العام السابق.

وبالفعل تجمع زملاء هند فى هذا المكان المتفق عليه قبل قدومها.

فاتجهت ناحيتهم وفى يدها حرِّيَّة التى كانت تشعر بالخجل لوجود بعض الشباب، فهى غير معتادة ذلك فى مدرسة المحلة الثانوية؛ فهى للبنات فقط، وما أن اقتربوا وقعت عين حرِّيَّة على أحمد كرامة، أحست حرِّيَّة أنها تعرفه من سنوات.

شاب أسمر اللون، عيناه واسعتان سوداويتان، وشعر أسود قاتم مفلفل، ووجه ناحل يميل إلى الشحوب، ولكنه فى المجمل وجه بشوش للغاية، يحمل طيبة ورثها من أمه، وشهامة ورجولة ورثها من أبيه.

أما أحمد عندما رآها تسمَّر مكانه، وسمع دقات قلبه، ولم يتمالك أعصابه وهو يقول - بصوت غير مسموع - : "ما هذه الفتاة هل هى بشر مثلنا أم أنها ملاك"؟

نعم، كانت حرِّيَّة فائقة الجمال، قصيرة إلى حد ما، ووجهها مستدير بض اللون.

ورموشـها طويلتـان سـوداويتان، وشـفتاها متـوردة، وعيناهـا يغـوص بداخلهما حدقتان زرقاويتان، وملامح رقيقة للغاية.

استرجع الجميع ذكريات العام السابق، وما فعلوا فى الإجازة الصيفيَّة، وأحمد وسط كل هذا لا ينطق كلمة واحدة، عيناه واقعة على حرية، ولم يلتفت هنا أو هناك، وحرية تنظر فى الأرض، ورموشها تحجب عينيها الزرقاء تماما.

وعندما يوجه أحد إليها الكلام فتنظر إليه وترفع رموشها ببطء فتكشف عن جوهرتين زرقاويتين، لهم مفعول السحر، لا يقاومهم أحد، ولا حتى نابليون وجيوشه كلها.

أحست هند بنظرات أحمد لحرية، فاقتربت منه وبطريقتها الفكاهية بدأت تلوح بيدها أمام وجه أحمد: "إيه يا بنى اللى واخد عقلك".

فوق يابنى فوق لفوقك، حتى ضحك الجميع وابتسمت حرِّيَّة بنوع من الخجل، فكان لها نغزتان عندما تضحك تضحك معهما الدنيا، فيحس الناظر إليها بأنها اخترقت قلبه.

ظلت حرِّيَّة أول عامين من الدراسة لايشغل بالها سوى الدراسة، إلا أنها فى عامها الثالث وقعت حادثة كانت نقطة تحول فى حياة حرية

obeikan.com

(5)

استعدت حرّيَّة جيدا لمقابلة أبيها وأمها العائدين من أداء الفريضة على متن العبارة القادمة من الأراضى المقدسة غدا من ميناء سفاجة.

حرية ذاهبة إلى بيتهم فى المحلة لانتظارهم هناك، نعم لم يغمض لحرية جفن هذه الليلة شوقا لرؤيتهم.

خرجت من غرفتها واستلقت على الأريكة أمام التلفاز، وبنوع من الملل ظلت تقلب من قناة تليفزيونية إلى أخرى حتى استوقفتها القناة الأولى للتلفزيون المصرى التى تعلن عن أهم الأنباء.

فبدأت بنوع من الفضول تتأمل مذيع النشرة الذى كان يظهر على ملامحه الأسى والصرامة فى نفس الوقت، ونبرة صوت حزينة على الرغم من أناقته ولغته العربية الفصيحة، وفى عدة ثوانى صوب المذيع بكلماته رصاصة اخترقت قلب حرّيَّة من وراء شاشة التلفاز، عندما أعلن غرق العبارة "السلام ٩٨" القادمة من الأراضي المقدسة.

بالفعل، فهى العبارة الموجود على متنها والداها، تسمرت حرِّيَّة مكانها شاردة الذهن، والمذيع يعلن عن إصابات ووفيات، وحريه لا تزال شاردة، حتى أفيقت وملامحها متجمدة وعينها تترقرق بالدموع دون إصدار أى صوت، حتى بدأت حرِّيَّة تستوعب ما حدث، فبدأت ببكاء مقترن بالنحيب، وأسرعت إلى غرفة خالها، وقد بدأ صوت حرِّيَّة يرتفع تدريجيًا من شدة نحيبها وصراخها.

استيقظ عويس فزعًا: "خير يا حرِّيَّة فى إيه يا بنتى"؟

حرية : "ماما ماما ماما... وبابا بابا بابا... المركب اللى جايين بيها غرقت، غرقت يا خالو"، وألقت بنفسها بين ذراعيه، فضمها عويس للحظات، ثم أبعدها عويس عنه قليلا، ووضع يده على خديها، وبأطراف أنامله بدأ يججف دموعها، وهو يقول: "إهدى كدة يا حبيبتى، وقوليلى عرفتى منين وازاى"؟

حرية : "النشششششرة يا خالو".

نهض عويس من على سريره، وأسرع إلى التلفاز، وظل يراقب ما يحدث داخل هذه الشاشة الملعونة، وما تحتويه من كارثة حقيقية، ارتدى عويس ملابسه بسرعة فائقة، وخرج من غرفته، وجد حرِّيَّة أمامه مستعده للنزول معه، لم يستطع أن يقنعها بالبقاء فى المنزل حتى يعود.

فأسرع إلى غرفة هند الغارقة فى نومها، وأيقظها، وقص عليها ما حدث فى ثوان قليلة.

وأخذها هى وحرية، وتركوا المنزل فى الواحدة والنصف صباحًا.

مر عويس على أحد جيرانه "عم محمد" صاحب عربة أجرة، واتفق معه واتجه بهم إلى ميناء سفاجا، وصلا الميناء فى الساعة السابعه صباحًا، وجدوا الالأف ينتظرون ذويهم على أرصفه الميناء، والأمن يطوق المنطقة من جميع الاتجاهات، ظل هذا المشهد حتى أذان العصر، وأخيرًا خرج عليهم ضابط شرطة، وأعلن فى الميكرفون عن بعض أسماء الناجين من العباره الذين تم إنقاذهم، وبالفعل بعد لحظات أعلنت القائمة الأولى، ولكن للأسف لم تتضمن اسم فاطمة أو عبد السلام .

وحرية تراقب الأمر وهى صامدة إلى حد ما، وكلها أمل أن يكون والداها بخير، وظلت تردد: "اللهم إنى لا أسألك رد القضاء، ولكنى أسألك اللطف فيه".

وخرجت قائمة أخرى تعلن عن بعض الجثامين التى تم انتشالها من البحار، وطلبوا من الأهالى أن تبعث كل أسرة بفرد للتعرف على ذويهم، وأصرت حرِّيَّة أن تذهب بنفسها، فلم يتركها خالها وذهب معها.

الجثامين مرصوصة على أرض الميناء ومعظمهم فى حالة انتفاخ.

وعويس وحرية يرتعشا من هول المشهد، وليس من البرودة القارصة، وحرية ترتجف وترتعش، ولكن عينيها مفتوحتان على آخرهما، يتأملون الجثث والدموع تسيل من أعينهما.

ظلوا يسيرون أكثر من ربع ساعه، والجثامين لم تنته، ولكن لم تجد حرِّيَّة والديها، حتى ثلاثة أيام متتالية، وهى بين اليأس والرجاء، حتى أن تم فض كل الأسر الموجودة فى الميناء، ولإعلان عن بعض الجثامين التى تم دفنها فى مقبره جماعيه بالقرب من الميناء فى الصحراء، وأصبح أمل العثور على والديها أمر مستحيل، إما أنهم فى هذه المقبرة، أو تم افتراسهم من حيوانات البحر.

فعاشت حرِّيَّة أسود أيام حياتها، مرت ثلاثة الأيام وكأنهم ثلاث سنوات، والنظام الحاكم والإعلام يحتفلون بانتصار منتخب كرة القدم ويتجاهلون أحزان الناس، وكأنه أمر مدبر، وكأن الفساد أصبح شيئا عاديًّا فى هذا البلد، والمواطن البسيط أصبح أرخص من أن يتمتع بالحياة.

لم تنس مشهد الأهالى وهم ينتظرون ذويهم أكثر من ٧٢ ساعة فى البرد القارص جالسين على أرض الميناء دون أى اهتمام من مسؤولي النظام الحاكم.

انقطعت حرّيَّة عن الجامعه لعدة شهور، وأحمد كرامة يحاول مرارًا وتكرارًا أن يقابلها دون جدوى، إلا أن هندًا وخالها أقنعوها مؤخرًا أن تذهب إلى الجامعة، وكان بالفعل أحمد كرامة فى انتظارها، فعندما رآها كاد قلبه يرفرف فى عنان السماء، وطلب منها أن يجلس معها فى كافيتريا الجامعة.

بدأ أحمد يواسيها ويقص عليها حادثة قطار الصعيد الشهيرة، وأن أخاه محمدًا كان من ضحايا هذه الكارثة، وأن والده وأمه تجاوزا هذه المحنه بإيمانهم، وبدأ يقرأ لها عدة آيات قرآنية وأحاديث.

فكان لهذا اللقاء مع أحمد أثر إيجابى على حرية، وساعدها على الخروج من محنتها، وأيقنت حريه أن أحمد يحبها، وأنها تحب أحمد، وأن الأمر تجاوز مرحلة الإعجاب.

كانت حرّيَّة يومها تشعر بسعادة لا توصف، مشاعر وأحاسيس مختلفة لم تشعر بها من قبل.

obeikan.com

(6)

انضمت حرّيَّة لاتحاد الطلاب، وبدأ يصبح لها نشاط سياسى داخل الجامعة، فكانت معروفة جدًا داخل الجامعة لجميع الأساتذة والطلاب، ولكن نشاطها السياسى أثر بالسلب على علاقتها بأحمد كرامة، وكاد ينهى العلاقة أكثر من مرة، فبدأت تدرك أن هى وأحمد شخصيتان مختلفتان تمامًا.

أحمد يتعامل مع أزماته بسلبية واحتقان من البلد وكره لها، أما حرّيَّة فأزماتها أثَّرت عليها بالإيجاب، وتعلقت أكثر بالوطن، وأحست بواجبها تجاهه وتحريره من الفاسدين.

أما أحمد فما زال دائم الاعتراض على نشاطها السياسى، وكانت ترى أن أسلوبه فى التعبير عن هذا الموضوع بالذات لا يخرج من شاب متعلم ومثقف.

كان أحمد دائمًا يقول لها: "هى البلد دى شوفنا منها إيه غير التعب والذل، البلد دى مش بتاعتنا ومش هتتغير. انا أول ما أتخرجههج من البلد الفقر دي".

حاولت حرِّيَّة مرارا وتكرارا أن توضح لأحمد أن المشكلة ليست فى البلد، ولكنها مشكلة أشخاص، وأن التغيير لن يتم غير بأيدينا وإرادتنا، وأن البلد تستحق حاكمًا يُقَدِّر مكانتها ويُقَدِّر شعبها ويحترمهم ويعدل بينهم.

- حرية: "يا أحمد اللى مالوش خير فى أهله مالوش خير فى حد".

- أحمد: "ومين قالك إنى ماليش خير فى أهلى، أنا علاقتى بيهم كويسه جدًا".

- حرية: "وبالنسبة لعلاقتك بمصر تسميها إيه"؟

- أحمد: "نعم؟! بتقولى إيه؟! مصر؟! والنبى إرحمينا شوية، مصر دى كانت عملتلنا إيه؟!"

- حرية: "أحمد ما أسمحلكش تتكلم عن مصر كدة، مصر دى بلدنا وأرضنا وعرضنا".

ضحك أحمد ضحكة مستفزة للغاية، وهو يقول: "ياسلام والنبى بلاش كلام الشعارات الفاضية دي".

- حرية: "لو استمر الحوار بالطريقة دى أنا هسيبك وأمشى".

- أحمد: "خلاص يا ستى ماتزعليش نفسك، مصر هى أمى وأفديها بدمي".

- حرية: تانى يا أحمد بتسخر من كلامى، على العموم سلام".

- أحمد: "استنى بس بهزر معاكي..."

ولكن بالفعل انصرفت حرِّيَّة وهى غاضبه من أحمد، وحزينة أن الشخص الذى أحبته يفكر بهذه الطريقة السطحية.

وفى اليوم التالى وصل أحمد إلى الجامعة وبحث عن حرِّيَّة فى كل مكان ولم يجدها بعد أن اتصل بها عدة مرات دون جدوى، فهاتفها مغلق منذ أمس، حتى اتصل بها على هاتف منزل خالها عويس، فردت عليه هند.

- أحمد: "السلام عليكم، إزيك يا هند عاملة إيه".

- هند: "الحمد لله يا أحمد بخير".

- أحمد: "هى حرِّيَّة راحت الجامعة النهاردة".

- هند: لأ حرِّيَّة فى غرفتها".

- أحمد: "طب ممكن أكلمها بعد إذنك".

كانت هند تعلم ما حدث بين حرِّيَّة وأحمد، وكانت تريد أن تصلح بينهم وتهدِّأ النفوس، وتقرب وجهات النظر لأنها تعلم كم تحب حرِّيَّة أحمد، وتعلم جيدا أن أحمد شخص محترم ويحبها ويقدرها.

فقالت هند لأحمد: "لحظة واحدة"، وأخذت الهاتف ودخلت الغرفة على حرِّيَّة فوجدتها جالسة على السرير وتضع الكتاب على تربيعة ساقيها ولا تنظر فيه، وسارحه فى سقف الحجره، ظلت تناديها حرِّيَّة أكثر من دقيقتين دون رد، حتى اقتربت منها هند ونغزتها فى كتفها وهى تقول: "اللى واخد عقلك".

خرجت حرية من حالتها هذه وهى تفزع فى هند: "إيه فى إيه".

أجابت هند: "أحمد على التليفون اتفضلى".

ولم تعط هند الفرصة لحرية أن تقبل أو ترفض، وضعت التليفون بجوارها وخرجت من الغرفة.

وضعت حرية السماعة على أذنها وهى تقول: "نعم يا أحمد خير فى حاجة"؟

- أحمد: "حرية أنا محتاجلك ضرورى، وعايز أقابلك دلوقت، أنا فى كارثة عندى فى البيت، ومفيش حد غيرك ممكن أفضفض له".

- حرية: "خير يا أحمد قلقتني".

- أحمد: "أرجوكى ماتتأخريش، أنا مستنيكى فى كافيتريا الجامعة".

لم تضع حرية فى بالها أن أحمد يختلق كل هذا لكى يقابلها؛ لأنها تعرف أحمد وتحبه، فشعرت بالفعل من صوت أحمد أنه فى كارثة، وبالفعل نسيت حرِيَّة ضيقها من أحمد، وقامت بارتداء ملابسها فورا، وخرجت من الغرفة، فوجدت هندًا أمامها، فقالت لهند: "أحمد شكله واقع فى مشكلة كبيرة وعايزنى أقابله فى الجامعة دلوقت ضرورى".

- هند: "ياسلام! بقى هو ده اللى مش هكلمه تانى"؟! وضحكت لاستفزازها.

- حرية: "مش وقت تهريج، لما أجيلك، بقولك أحمد واقع فى مشكلة".

- هند: "ماشى يا أختى، ربنا يقدرك وتحليها".

وصلت حرِيَّة إلى الجامعة، وأسرعت بلهفة إلى كافيتريا الجامعة، وبالفعل وجدت أحمد جالسًا بمفرده، ويظهر على ملامحه الإجهاد.

ألقت حرِيَّة السلام على أحمد ثم جلست.

- حرية: "خير يا أحمد قلقتنى فى إيه".

- أحمد: "كارثة يا حرية، والدى اتقبض عليه من أمن الدولة إمبارح ولحد دلوقت منعرفش عنه أى حاجة".

- حرية: إيه! إزاى؟ وليه؟ احكيلي".

أحمد: "والدى كان منظم اعتصام هو وزملائه عشان خروجهم معاش مبكر وتسريحهم من العمل، مع أن والدى طول عمره عايش فى حاله، معرفش إيه بس اللى خلاه يعمل كده... "

قاطعته حرية: "يعنى إيه يا أحمد إيه اللى يخليه يعمل كده؟! الإحساس بالظلم يخلى الإنسان يعمل أكتر من كده، والدك اتظلم يا أحمد، وحب يعبر عن إحساسه بالظلم.

أنا بجد فخورة بيه، وأتمنى إنك تصبح زيه، إحنا مش لازم نسكت على الظلم، دول بيبيعوا البلد لأنفسهم واحنا واقفين نتفرج دول... "

قاطعها أحمد وقال: "حرِّيَّة مش وقت الكلام ده والنبى، بقولك أبويا محبوس، ومش عارف أعمل إيه، أمى هاتموت نفسها من العياط، وأنا مش عارف اتصرف".

- حرية: متقلقش يا أحمد، أنا هاتصرف، إدينى فرصة كام يوم، وهتصل بيك وأنا معايا الحل".

- أحمد: بجد ياحرية؟! هو خالك يعرف حد فى أمن الدولة"؟

- حرية: قلتلك متقلقش، والله هاتصرف".

وبالفعل اتصلت حرِّيَّة بأحمد بعد يومين، وقالت له: "أنا فى انتظارك أمام مبنى أمن الدولة".

فقال لها أحمد: "لوحدك"؟

أجابت حرّيَّة: "لأ وانجز بقى يا أحمد".

قام أحمد بارتداء ملابسه فورًا، وطمأن أمه، وقال لها إن أحد أصاحبه يعرف أحدًا فى أمن الدولة، وسيقابله ليخرجوا والده".

وعندما وصل أحمد إلى مقر أمن الدولة شاهد مالم يتوقعه، ولايخطر على باله.

(٧)

كانت تتعامل هند مع حرّيَّة أنها أختها الأصغر منذ طفولتهم فكانت دائما ينتابها نوع من القلق على حرّيَّة، وكان من أكثر ما يعجبها فى شخصية أحمد أنه لا يهتم بالسياسة، فكانت على أمل أن يؤثر فى شخصية حرّيَّة، ويبعدها عن السياسة، ولكن لم يحدث ذلك؛ فحرّيَّة شخصية عنيدة.

فلا تجد هند سبيلًا أمامها إلا أن تقص على والدها نشاط حرّيَّة السياسى قبل فوات الأوان، وقبل أن يتم القبض عليها.

وبالفعل دخلت هند غرفة والدها الحاج عويس، فوجدته يصلى المغرب، فانتظرت على الأريكة حتى انتهى والدها من الصلاة، فجلست بجواره وقبلت يده، فاحتضنها والدها، وقال لها: "خير.. شكلك كدة عايزة حاجة.. فى إيه يا حبيبتي"؟

هند: "بابا حرِّيَّة واقعة فى مشكلة، وأنا حاولت إنى أحلها بس مش عارفة، وهى لو عرفت إنى حكتلك هتزعل منى، بس أنا خايفة عليها".

رد الحاج عويس بلهفة: "مالها حرِّيَّة؟! فى إيه؟ احكيلى، حرية مسؤولة مننا.. فى إيه مشكله إيه"؟

هند: "بابا حرِّيَّة ليها نشاط سياسى داخل الجامعة واضح، وبتطلع فى مظاهرات الجامعة، وساعات هى اللى بتنظمها".

فجأة انقلب وجه الحاج عويس من حالة الفزع إلى الابتسام وقال: "يا بنتى وقعتى قلبي".

وضحك وقال بصوت خافت: "فعلًا اللى خلف مامتش".

- هند: "أنت بتضحك يا والدى.. ولما يقبضوا عليها هنعمل إيه"؟

- الحاج عويس: "يا هند ابن الوز عوام.

أنتى مش عارفة حرّيَّة دى بنت مين؟! بنت عبد السلام وفاطمة، عمتك دى ياما طلعت مظاهرات، ونظمت مظاهرات، وجدك مكنش قادر يعمل معاها حاجة.

أقولك.. كان أصلا فخور بيها لأنها كانت بتدافع عن الحق، وكانت بميت راجل، وحرية طالعة لأمها، أنا مقدرش أمنعها أنها تعبر عن حريتها ورأيها.

حرية طول عمرها عاقلة، وعارفة بتعمل إيه، وكمان عنيدة مش هعرف أغير وجهة نظرها اللى أنا اصلًا مقتنع بيها".

كلام الحاج عويس طمأن هندًا إلى حد ما، خصوصا أنها علمت أن نشاط حرّيَّة السياسى لم يغضبه إذا اكتشفه فى أى لحظة".

ولكن بعد انصراف هند ظل الحاج عويس يفكر بنوع من القلق على حرّيَّة، فهى أمانه فى منزله، ولا بد أن يحافظ عليها.

obeikan.com

obeikan.com

(٨)

لم يصدق أحمد ما يشاهده، حرِّيَّة موجودة، ومعها حشد كبير من زملائها، ومن أسر المقبوض عليهم فى الاعتصام أمام الشركة التى يعمل بها والده، ويحملون لافتات ضد الحكومة، ويهتفون ضد الظلم والاستبداد.

عندما رأت حرِّيَّة أحمد أسرعت نحوه وجذبته من يده حتى يشارك فى التظاهر، فجذب أحمد يده منها بعنف وصاح فيها بصوت عالٍ وهو يقول: "إيه اللى بتعمليه ده، إحنا كده هنروح فى داهية، هو ده الحل من وجهة نظرك، أنا مش عايز أعرفك تانى، ده تصرف أحمق، أنتى كده بتأزمى الموضوع مش بتحليه، أنت أكيد اتجننتى" لم تنطق حرِّيَّة كلمة واحدة ورقرقت عينها بالدموع.

كانت بالفعل حرِّيَّة حزينة، أحمد لم يتغير، أحمد مسلوب الإرادة، وإذا بقوات الأمن تشن هجومًا على المتظاهرين، وبدأ الضرب بمنتهى القوة.

فكانت تسمع حرِّيَّة عن بطش الداخلية، ولكن لم تتصور أن يكون بهذا العنف، وفجأة اختفى أحمد، وتخلى عن حرية، وبالفعل كانت هذه هى

نهاية علاقة أحمد بحرية للأبد، فتخلى أحمد عن حرِّيَّة كان كفيلًا أن ينهى العلاقه للأبد، على الرغم من أن هذه التظاهرة تسببت فى خروج والد أحمد وزملائه فى نفس اليوم بعد تصعيد القضية.

دقت الساعه الثانية عشرة، وحرية لم تعد إلى منزل خالها الحاج عويس، فانتاب هند نوع من القلق على حرية، حاولت الاتصال بها، ولكن مازال هاتفها خارج نطاق الخدمة.

حتى قامت هند بالاتصال بأحمد كرامة، وقص عليها أحمد ماحدث صباحا أمام مقر أمن الدولة ومشاجرته معها.

ولم يبدى أحمد أى اهتمام أو قلق على حرِّيَّة، وقال لهند: "عندما تأتى حرِّيَّة ياريت تطمنينى، وأنهى معها المكالمة".

لم تجد هند أمامها سوى والدها الحاج عويس، إتجهت بسرعة فائقة إلى غرفته وهى تبكى، واتجهت نحو السرير وجلست بجواره، وهى تحاول بلطف أن تفيقه من نومه فهى تعلم كم يعود والدها من العمل وهو مرهق للغاية، ولكن أحس بها عويس فنهض بفزع من نومه عندما سمع صوت بكاء هند.

- خير ياهند فى إيه؟

- حرية لسة ماجتش لحد دلوقت.

- ليه الساعه كام؟

- الساعة الثانية عشرة ونصف.

- كلمتها على التليفون؟

- تليفونها من الصبح مقفول.

أسرع الحاج عويس إلى الدولاب الموجود بالغرفة، وأخرج منه قميصًا أبيض وبنطلونًا أسود، وخلع جلباب النوم، وارتدى القميص والبنطلون بسرعة فائقة.

- هند: هاتروح فين يا بابا؟

- هشوف أختك راحت فين لحد دلوقت.

هند: -على فكرة أنا كلمت حد من أصدقائها، وأكد لى أن حرّيَّة كانت فى مظاهرة أمام أمن الدولة من الصبح.

- أمن الدولة؟!! ياساتر استر...

إدينى يا هند بسرعة التليفون، ولا اقولك هاتلاقى رقم عندك فى الأجندة الزرقا باسم الأمين جلال، هاتى الرقم واطلبيه بسرعة.

وقتها سُمع دق الباب.. خبطات متتالية.

أسرعت هند إلى الباب فوجدت حرِيَّة، ولكنها عندما شاهدتها صرخت صرخة مدوية.

ملامح حرِيَّة غير واضحة بالمرة، عيناها متورمة، وأنفها ينزف دما، وملابسها ممزقة.

سمع الحاج عويس صريخ هند فأسرع إلى الباب، وجد حرِيَّة بهذه الهيئة.

احتضن حرِيَّة ورفعها من على الأرض بيديه، وحملها حتى غرفتها.

وأسرع إلى الثلاجة، وأخرج كمية من الثلج ، وبدأ يضعها على وجهه حرِيَّة، وهى تصرخ من شدة الألم.

وخرج عويس من الغرفة وترك هندًا بجوارها، بعد أن أمرها أن تستبدل لها ملابسها.

وبالفعل بدأت هند تغير لحرية بصعوبة؛ فاحرية إذا تحرك أى عضو فيها صرخت من شدة الألم، ولكن نجحت هند أن تستبدل لها ملابسها، ولكن بعد عناء شديد.

حتى عاد عويس مره أخرى إلى الغرفة، وجلس بجوار حرِّيَّة على السرير، كل هذا دون أن يتكلم كلمة واحدة، وضع يده على رأسها وبدأ يقرأ المعوذتين وآية الكرسى، حتى راحت حرِّيَّة فى نوم عميق.

أشار الحاج عويس لهند لإطفاء الإضاءة بالغرفة، والذهاب إلى غرفته للنوم، واستلقى بجوار حرِّيَّة حتى الصباح.

استيقظت حرِّيَّة وهى تشعر بألم غير عادى، وعندما فتحت عينيها وجدت بجوارها خالها فقامت بتقبيل يده بنوع من الخجل من نفسها لما فعلته، شعر بها عويس فنهض بسرعة بعد أن قبل رأسها، وخرج وأحضر لها كوبًا من اللبن، وأجبرها أن تتناوله بالكامل، وحينما فرغت حرِّيَّة من كوب اللبن بدأ خالها الكلام: "ممكن بقى تحكيلى إيه اللى حصل امبارح"؟

بدأت تقص حرِّيَّة على خالها بنوع من التوتر، وهى لا تتخيل أن كل هذا حدث معها.

ما أن دخلت أنا وزملائى إلى مقر أمن الدولة، حتى سمعت صراخ من حولى، مجموعة من الفتيات معلقون من الأيدى والأرجل ويتم ضربهم بمنتهى القسوة، وصعقهم بالكهرباء فى أماكن حساسة، حتى دخلنا إلى الضابط المسؤول عن التحقيق معنا، فوجدنا سيدة تركع أمامه، وظلت تقبل قدميه حتى يفرج عن ابنتها الوحيدة، فضربها بحذائه، وجذبها من الطرحة، وسحلها على الأرض، وهو يسبها بأقذع الشتائم.

وبدأ يوجه الكلام لنا أنا وزملائي: "أنتم يا شوية صيع فاكرين نفسكم هاتقدروا تحاربوا الحكومة وتلووا دراعها؟! فاهمين إنكم هاتقدروا على الحكومة؟! حتى لو استحملتوا الضرب هاتستحملوا اللى ممكن نعمله فيكم لما تخلعوا ملابسكم ونعمل الصح معاكم؟!.

قالت حرِّيَّة كل هذا بنوع من الخجل، وظلت تبكى وهى لا تصدق ما شاهدته بأم عينها، ولكنها أكملت:

فعندما وجه لى الإهانة خرجت من صمتى، ووجهت له كلامى بمنتهى الحدة والغضب:
"أنت فاكر نفسك إيه؟! أنت ولا حاجه، أنت مجرد إنسان مريض، راجل ضعيف، وبتستقوى على الغلابة .

فجأه استشاط الضابط غضبا ولطمنى على وجهى لطمة عنيفة، فاعترضت وقلت له بالحرف: "أنت مش راجل اللى يضرب بنت ويضرب ست كبيره قد أمه يبقى مش راجل".

جن جنونه وانهال على وجهى بلطمات شديدة متلاحقة حتى تورم وجهى، وهو يقذفنى بأقذع الشتائم حتى بدأ الدم يسيل من وجهي.

وتم إلقاؤنا فى الحجز أنا وزملائى بعد فاصل من الضرب المبرح، ولكن بعد ساعات صدرت أوامر عليا بخروج كل من له علاقة بهذه القضيه فورا.

لم يتكلم عويس كثيرًا لنصحها؛ لأنه يعلم أن العيب ليس على حرِّيَّة، بل على هؤلاء الجبناء الذين يحكمون هذه البلاد، من يستقوون على بنت مثل حرِّيَّة ويضربونها بهذه القسوه لمجرد أنها تعبر عن رأيه، بالفعل هؤلاء كلاب وليسوا بشر.

لعن ألف مرة النظام الفاسد الذى يَحْرِمه الآن من أن يسترد حق ابنة أخته، فلو تكلم لحدث معه مثل ما حدث مع حرِّيَّة وأبشع.

وظل يردد: "حسبى الله ونعم الوكيل" بصوت غير مسموع.

كانت تسمع حرِّيَّة عن بطش الداخلية، ولكن لم تكن تتصور أن العنف لهذا الحد وبهذه القسوة والغشامة.

فلم تنس حرية مشهد سحلها على الأرض أمام أمن الدولة لمجرد أنها تعبر عن رأيها، وما تعرضت له من ذل وإهانة عندما تم القبض عليها من قبل ضباط وجنود أمن الدولة، ولكن لم يؤثر ذلك أبدًا على حرية بالسلب، بل كان طاقة جديده تشتعل بداخلها.

لأن معركتها من البداية لم تكن مع الجنود الذين سحلوها، ولا أفراد وأشخاص عذبوها، بل مع نظام بأكمله، نظام قمعى مستبد.

فلم تنس حرية عبد السلام أن والدها كان يقضى فترة التجنيد كعسكرى أمن مركزى، وكم مرة قص عليها الظلم الذى يتعرض له هؤلاء الجنود من قسوة وسوء معاملة.

حيث إنهم يعيشون فى معسكرات ضخمة من الخيام لا تتضمن أى مرافق مريحه، وينامون على الأرض، ويعاملون معاملة غير آدميه بالمرة، ولا يحصلون على إجازات إلا لمدد قليلة جدا، ولكن والدها كان ثائرًا لايرضى بالذل والمهانة.

ففى عام ١٩٨٦ شارك والدها فى انتفاضة الأمن المركزى ضد الظلم الذى يتعرضون له، فكان لأول مرة فى تاريخ الأمن المركزى أن يثور الجنود على رؤسائهم.

فلم يكن والدها فقط هو الثائر الوحيد، بل كانت أمها الحاجة فاطمة أيضا ثائرة، ونظمت فى نفس العام عدة إضرابات، منهم إضراب عمال الغزل والنسيج بالمحلة، فبالرغم من أن والدها وأمها كانا بسطاء، ولكنهم كانا معتزين بأنفسهما ويتمتعان بشهامة وكرامة، ولايسمحون لأحد أن يهينهم أو يظلمهم.

قصت لى والدتى عن هذ العام - وهو عام ولادتى - أنه قد شهد هذا العام إضرابات فى كل أنحاء الجمهورية لتردّى الوضع الاقتصادى فى مصر، وكان من وجهة نظر الحكومة أن الخروج من الأزمة لن يكون إلا على حساب العمال البسطاء.

فكانت من ضمن ذكريات أمى الجميلة التى لم تنسها ولم تتوقف أن تقصها علىَّ يوميا؛ هى عندما تم إضرابها مع عمال مصنع الغزل والنسيج الذى كانت تعمل فيه.

فبعد أن صدر حكم من المحكمة لعمال القطاع العام للحصول على أجر كامل، ويتم احتساب الشهر ثلاثين يوما، وليس ستة وعشرين، ويصبحون مثل القطاع الخاص.

ولكن رفض رئيس مجلس إدارة الشركة تنفيذ القانون، وبدلًا من التدخل السياسى لحل الأزمة تظهر كالعادة دولة مبارك البوليسية، ويتم إرسال جنود الأمن المركزى لفض الاعتصام بالقوة، وليس لتطبيق القانون ونصرة العمال وحقوقهم.

فمن ضمن هؤلاء كانت أمى فاطمة، ومن المفارقة أن يكون من ضمن الجنود المرسلة من قوات الأمن هو أبى عبد السلام، ومطالب بأن يفض الاعتصام بالقوة وضَرْب أمى وزملائها، ولكن هنا حدثت المفاجأة.

خلع والدى خوذة الرأس اعتراضًا على ما يحدث، وانضم لصفوف أمى وزملائها، وتصدى عنهم الضربات، فأظهر أبى شجاعة ليس لها مثيل، بالفعل أمى كانت فخورة جدا بأبى.

على الرغم من أن أبى عوقب بعدها بالحبس لمدة عام بسبب عدم إطاعة الأوامر، وكانت والدتى فى أشد الحاجة لوالدى لأنها كانت فى أشهر الحمل الأخيرة، ولكن ماحدث كان يحمل لهم ذكرى جميلة.

وعندما جئت للدنيا بعدها بشهرين أصرت أمى لتسميتى حرِّيَّة، ولكنها لم تفصح لى عن ما كان بداخلها وقتها، هل الحرية لوالدى أو الحرية لمصر من الظلم والفساد أو الاثنين معًا.

كل هذا كان يشعرنى بتعاطف مع قوات الأمن المركزى رغم قسوتهم معى، ولكنى كنت ألتمس العذر لجهلهم بما نطالب به من أجل حياة كريمة لنا جميعا.

فكنت يوما بعد يوم أزداد غضبًا من هذا النظام الفاسد، وأتمنى أن ياتى اليوم ويثور المصريون.

obeikan.com

obeikan.com

(٩)

أحمد كرامة: بعد صراخ أمى أدركت تمامًا أن الحاج كرامة قد ودع الدنيا، فارق الحياة، وهو كله حسرة وإحساس بالمهانة والظلم والانكسار، لم أدرك هذه المعانى وقتها، وتعاملت مع الأمر بشكل عادي.

ولكنى أصبحت مسؤولًا عن الأسره، فكيف أخبرها بأننى تركت العمل أمس بعد رفضى لإهانتى، لإنها كانت سوف تقول لى: "يا بنى استحمل حد لاقى شغل النهارده؟! يعنى شغال فى شركة محترمة، وكمان مش عاجبك، يابنى ماتتبطرش على النعمة" وكلام كثير من هذا النوع.

فكانت أمى لاتعلم أن ابنها صاحب أعلى تقدير فى دفعته، وكان من الممكن أن يصبح أستاذًا فى الجامعة، لولا أن تم تعيين ابن عميد الكلية صاحب التقدير الأقل.

أعمل الآن فى مطبعة الحاج سمير على، والد زميل الدراسة محمد الذى عرض علىَّ العمل لديهم حتى أجد فرصة عمل مناسبة.

فلم أتردد للحظة لظروفنا بعد وفاة والدى، فنحن فى حاجة إلى كل قرش.

وبالفعل قبلت العمل بالمطبعة، وكانت طبيعه العمل أن أقوم بتفنيد الأوراق الخارجة من ماكينة الطباعة الموجودة بالدور الأرضى، وترتيب الأوراق ورصها وتهيئتها لمرحلة التغليف، وبعد ذلك حملها إلى الدور السابع؛ حيث توجد ماكينة التغليف، فكانت كميات الورق كبيرة جدا، فهذه المراحل كانت مرهقة للغاية.

ولكن لم يكن ذلك ما كان يؤلمنى، بل ماكان يؤلمنى هو محاولات محمد سمير المتكررة للنيل منى وافتراسى، وتعويض إحساس النقص الذى كان ينتابه طوال فترة المدرسة لتفوق عليه.

ولكن أمس قد فاض بى الكيل عندما أنجزت عملى، فقام محمد ببعثرة الأوراق من أمامى وهو يصيح فىَّ: "إيه العك ده؟! ظبط الرصة كويس"، كانت الرصة أكثر من ألفين ورقة تعبت فيها كثيرا، فانفعلت على محمد وأنا أقول بصوت عالٍ: "أنت إيه ما بتفهمش؟! إيه اللى عملته ده"؟!

رد محمد: "أنت نسيت نفسك؟! أنت شغال عندنا، وتعمل اللى بقولك عليه وبس".

حتى سمع الحاج سمير الصوت من داخل مكتبه، فأسرع إلى غرفة الطباعة وصاح فىَّ بصوت أجش أمام عمال المطبعه: "أنا سامعك بتقول لابنى: أنت مابتفهمش، بص يا ابن الناس، هتشتغل عندنا تشتغل بأدبك، مش عاجبك اتفضل توكل على الله، محمد ده صاحب المطبعة، وكلامه يتسمع، والكلام ده للكل، ورجلكم فوق رقبتكم.. أنتم فاهمين"؟!

أخيرًا قررت أننى لن أقبل الإهانة ولن أنكسر أمام أحد مرة أخرى، ولن أضعف أمام أحد، وقررت أننى سوف أثور لكرامتى، والأرزاق بيدى الله، وبالفعل قمت بالإطاحة بكل ما هو موجود بالغرفة، وتكسير كل شيء، ظن الجميع أننى فقدت عقلى، ولكننى أخيرًا بهذا الفعل قد عدت إلى صوابى، واستردت عقلى وكرامتى.

هلل الحاج سمير ببعض الكلمات، لم أسمع منها إلا: "ده مجنون، أمسكوه، أنا هبلغ الشرطة"، وبالفعل أمسك بى عمال المطبعة بناء على تعليماته، وكأنهم نسوا تماما ما قاله لهم منذ قليل، ولكنهم معذورون، فهم مثل أمى "بيحبوا يمشوا جنب الحيط، لحد ماهيموتوا برضه وهما جنب الحيط ومحدش يدرى بهم".

بالفعل اتصل بالشرطة، و جاءت عربة الشرطة، وأخذونى فى العربة مثل المجرمين، ونظرًا لأن الحاج سمير شخصية معروفة لدى أمناء القسم، وبينهم مصالح وخدمات، فبالتالى قام الأمناء معى بالواجب، وأبرحونى

ضربا حتى تذكرت ماكان يحدث مع والدى أثناء محبسه، وكيف أحس بالمهانة والذل، رحمه الله عليك يا والدى!

وبعد ساعات قليلة - ولكنها مرت كأعوام علىَّ من الألم - جاء أستاذ سعيد صاحب الحاج سمير، وأخرجنى من القسم على ضمانته بعد أن علم ماحدث لى، وأجبره أن يتنازل عن المحضر، فكان أستاذ سعيد شخصية معروفة فى المنطقة، وبينهم مصالح كثيرة، وبعد خروجى قال لى أستاذ سعيد: "يا بنى أنت كنت هتودى نفسك فى داهية، لازم تتحكم فى أعصابك عن كدة، وبعدين والدك لسه متوفى، وأنت محتاج للشغل ولازم تستحمل.

يللا توكل على الله، وأنا هحل المشكلة وهوصلك حسابك لحد عندك بنفسى".

نعم كل هذا كان بداخلى، من ليلة أمس وأمى لا تعلم، وبعد تفكير طويل قررت الخروج فى مظاهرات اليوم ضد الفساد والظلم، فأنا لن أتقبل الإهانة بعد اليوم، ولن أتقبل الظلم، اتجهت ناحية أمى وقمت مرة أخرى بتقبيل يدها.

خرجت من المنزل وأنا رافع شعار "عيش حرِّيَّة عدالة اجتماعية وكرامة انسانية" . وقررت الاتجاه إلى نقابة المحاميين، فبالتأكيد يوجد تجمعات

من هناك، فكم مرة أشاهد تجمعات على سلم النقابة، ولكنى كنت أسخر منهم.

فأنا بالفعل لا أعرف أحدًا له أى نشاط سياسى إلا حرية، ولكنى خسرتها للأبد، ولا يمكن أن اتصل بها إلا بعد أن أثبت لها أننى تغيرت بالفعل وجدير بحبها لى.

obeikan.com

obeikan.com

(١٠)

تمت الدعوة من خلال الصفحة الشخصية على الإنترنت (مواقع التواصل الاجتماعي) لحرية عبد السلام للإضراب يوم ٢٠٠٨/٤/٦ تضامنا مع عمال المحلة.

وذهبت حرِّيَّة إلى موطنها محل ميلادها، وقامت بدور والدتها فاطمة، ووقفت بجوار العمال، حتى أصبح الإضراب ثورة شعبية على مبارك ونظامه.

وكان لأول مرة منذ سنوات طويلة التجرأ على النظام لهذا الحد.

حتى أصدر رئيس الجمهورية بتعليماته، وطوَّق الأمن مدينة المحلة بأكملها من خلال قوات الأمن، وكأن التاريخ يعيد نفسه، حرِّيَّة تستعيد ما فعلته أمها فى عام ولادتها، وكأن لا شيء تغير فى كل هذه السنوات، نفس الأداء القمعى، والطريقة البوليسية فى حل مشاكل المجتمع، القمع ثم القمع...

وبعد أن سيطر الأمن على الإضراب قبل أن يتصدر للمحافظات الأخرى؛ تم القبض على حرِّيَّة، ولكن هذه المرة كانت حرِّيَّة أكثر صلابة من أي مرة أخرى، وبعد أسابيع تم الإفراج عنها.

وعادت إلى الاعتقال مرة أخرى بعد قيامها بمظاهرة أمام دار القضاء العالى ٢٠٠٨/٧/٢٧ يوم تبرئة المتهمين جميعًا فى حادثة العبارة، وضياع حق أبيها وأمها وآلاف المواطنين، وظلت عدة أسابيع بالمعتقل لا أحد يعرف عنها شيئا حتى تم الإفراج عنها .

انضمت حرّيَّة إلى حركه كفاية، وأصبحت ناشطة سياسية معروفة إلى حد كبير.

ولكن ماحدث لحرية فى هذ اليوم ٢٠٠٨/١٢/٦ كان بمثابة ضربة قاضية لها.

obeikan.com

(١١)

٢٠٠٨/١٢/٦

انتهت حرِّيَّة من اجتماعها فى الحزب، ومرت على خالها فى العمل لكى تناقشه فى موضوع خطبة هند.

بدأت حرِّيَّة تقص على خالها ظروف محمد، وأنه كان زميلهم بالجامعة، ورأيها بصراحة، وأنه شخصية جديرة بالاحترام، ظلا يتبادلان الحديث حتى اقتربوا من البيت، فعلى مرمى البصر لم ير عويس وحرية البيت، بل يشاهدون زحامًا شديدًا من البشر كالنمل، وعربات الشرطة تنتشر فى كل مكان، والإسعاف وأشخاص بملابس خاصة.

أقامت الشرطة كردونًا على المنطقة، فغير مسموح لأحد أن يعبر الطريق، فصرخ عويس فيهم: "فى إيه أنا ساكن هنا وعايز أعدى".

رد أحد عساكر الأمن المركزى: "ممنوع يا حاج فى صخرة وقعت، وفى احتمال وقوع صخور أخرى، إحنا خايفين عليكم".

obeikan.com

انفعل عويس على جندى الأمن المركزى، فتقدم ضابط شرطة حديث التخرج إليهم: "أنتم إيه مبتفهموش، بنقول فى صخرة وقعت وبنعمل كده عشان مصلحتكم".

انفجرت حرِّيَّة غيظًا من طريقة الضابط المستفزة، دفعته بيدها: "أنت اللى مابتفهمش؟! إحنا أهلنا جوة، أنت مابتحسش"؟! وجذبت خالها من يده ومرت، بدأت حرِّيَّة وخالها يدفعون كل من يقابلهم ورائهم لكى يمرون ويصلوا إلى البيت بسرعة، بالفعل نجحوا فى اختراق كل هذه التكتلات البشرية.

وإذا بالبيت لا يوجد له أى أثر، مغطى تماما بالصخرة التى سقطت، وكأن لم يكن فى هذا المكان أى منازل أو ما شابه، وكأن الصخرة مستقرة فى مكانها الأصلى.

حرية وعويس مذهولان، ولم يصدر منهم أى تصرف أو رد فعل لمدة دقيقتين، حتى انهار عويس: "فين هند يا هند أنت فين يا بنتى ويلطم على وجهه.

أنتى سامعانى ياهند، أنتى أكيد سامعانى"، وبدأت تتعالى تدريجيًا نبرة الصوت: "ردى ياهند على أبوكى"، والجيران من حوله يتمتمون: "لاحول ولاقوة إلا بالله، الراجل مش مصدق، الراجل يا عينى هيتجنن، ربنا

يصبره" وهنا صرخت حرّيَّة، واحتضنت خالها والدموع تنجرف منها بغزارة دون توقف.

هند فين ياحرية؟! أختك فين ردى عليَّا، ويرجرج فى حرّيَّة وهو فى حالة هستيرية، حتى سقط على الأرض مغشيًّا عليه، فتقدم بعض الشباب وحملو عويس بجوار عربات الإسعاف وبدؤوا يجروا له بعض الإسعافات.

وحرية اتجهت بنوع من العصبية إلى الجثامين المغطاة بأقمشة بيضاء ومرصوصه على الأرض، نعم تتذكر هذا المشهد، وبدأت تكشف عن الوجوه وهى لا تدرى عن من تبحث، عن هند أو عن أمها أو عن أبيها؟!

حرية ملامحها مطموسة تماما بالدموع، وجهها أحمر مثل قرص الشمس أثناء الشفق.

حرية ترتجف وترتعش، ولكنها صامدة، فكم تمنت أن لا تجد بينهم هندًا، وأن تكون لا تزال على قيد الحياة، إلا أنها كشفت عن هذا الوجه فوجدت ملامح تعرفها جيدًا، ولكنها مليئه بالشحوب والاصفرار فى الوجه وبعض الاجزاء زرقاء من شدة التورم، دققت النظر وبدأت تتأملها بمزيد من الانتباه، حتى أدركت بالفعل أنها هند، ولكن دون ابتسامتها المعهودة، ووجهها البض، وخدوده الحمراء المتوردة، وعينها الواسعة الجميلة، كل هذا مطموس بلون الموت فى شحوبه وقسوته.

وإذا بحرية تفلت منها صرخة، ثم دفنت وجهها فى كفيها، حتى أغرقتهما بالدموع، وصرخت فى إجهاش يمزق الأكباد.

وضمتها بين ذراعيها بكل قواها، كما لو أنها تريد أن تحميها من رحلة الموت.

ظل عويس فى المستشفى ثلاثه أيام فى غيبوبة مستمرة لا يفيق منها إلا لحظات، وحرية بجواره، عندما يفيق ينظر إلى حرِّيَّة: "هند جات وله لسة؟! هند فين ياحرية"؟! ويصرخ حتى يعود مرة أخرى إلى السكينة، ويغرق فى عالم آخر.

بالفعل رفض عويس أن يصدق ما حدث، وقبل هذا العالم الافتراضى الآخر، حتى انتهى الحال بوفاة عويس أيضا.

وفى هذه اللحظه خيل لحرية أنها وقعت فى بئر، وشعرت بقلبها يدق بعنف، وأحست بمغص فى بطنها، وانفصلت رجلها عنها وكأن قنبلة نسفتها ومزقتها إلى أجزاء صغيرة متناثرة.

وأصبحت حرِّيَّة بلا أب وبلا أم، وبلا خالها وصديقة عمرها، كل من حولها فارق الحياة بنهايه مأساوية، فارق الحياه نظرًا للإهمال والفساد الذى يعيشه المجتمع.

انخرطت حرِّيَّة فى العمل الحزبى والسياسى حتى عام ٢٠١١.

ونظمت دعوات للتظاهر ضد الداخلية يوم عيدها ٢٥ يناير.

وفى ليلة الخامس والعشرين من يناير جاءنى أبى وأمى فى المنام، هذه المرة بمشهد مختلف عن كابوسى المعتاد، كانا يرتديان زيا أبيض، ووجهها يشع نورًا، واقتربا منى، وهم يقولون لى: "لا تحزنى يا حرية، إن الله معنا".

فاستيقظت من النوم، وأنا أشعر بسعادة وراحة من داخلى، فتوضأت، وصليت الفجر، ودعوت لهما بالرحمة، ووضعت هدفًا أمام عينى أننى لن أعود إلى البيت إلا بعد إسقاط النظام.

بدأت حرية فى ارتداء ملابسها، وكأنها متوجهة إلى ماراثون، وليس لتظاهرة، ارتدت بنطلون جينز ذا لون أسود، وتى شيرت مكتوب عليه "مصر" بحروف إنجليزية، ثم ارتدت جاكتها الأسود الجلد، وأخذت وشاحها، وهو عبارة عن قطعة من القماش على شكل علم مصر.

فكانت ملامحها فى هذه الملابس جميله جدا حيث، خصله الشعر الاسود الخارج من اسفل الوشاح، وعينها الزرقاء، وبشرتها ناصعة البياض، وتقاطيعها الريفية شديدة البراءة، وأنفها المنمنمة، ولكنها مرفوعة فى السماء وشامخة.

وتوجهت نحو الباب، وانطلقت متوجهة إلى جامعة القاهرة، للتجمع مع زملائها من هناك.

obeikan.com

(١٢)

توجه أحمد إلى محطة مترو الأنفاق، وهو لا يعرف كيف يسير هذا اليوم، فى الغالب ستكون مظاهرة مثل أى مظاهرة سمع عنها أو رآها من بعيد، أعداد قليلة، وياتى الأمن بإفراط فى القوة يسحق المتظاهرين، ويقبض على من يقبض عليه، وينتهى الأمر على ذلك.

هل أكون ضمن من يقبض عليهم؟! هل من الممكن ضربى وسحلى واعتقالى؟! كل هذا كان يدور برأسى، ولكنى لم أخف هذه المرة لأن ما كان بداخلى من إحساس بالذل والمهانة كان أكبر من أى شيء من الممكن أن يحدث لى، لا بد أن أخرج من صمتى وأعبّر عن نفسي.

كم مرة قالت لى حرية: أنت ضعيف وجبان، نعم لم تلفظها لأدبها، ولكنى كنت أحسها فى نظراتها لي،

فجأة وقف المترو، وقال أحد النازلين: "نازل يا أستاذ"؟ انتبهت له: "إحنا فين"؟ قال: "محطة الرئيس"، نزلت من المترو وأنا أحدق فى اللافتة المكتوب عليها اسمه، وأنا أتمنى أن أنسفها، نعم، هو سبب كل ما نحن

فيه، هو السبب فى الفساد التعليمى والاقتصادى والسياسى والاجتماعى والأخلاقى والإدارى.

وكم تمنيت أن يأتى اليوم وتتغير هذه اللافتة، نعم هو أمر مستحيل، ولكن الله سبحانه وتعالى قادر أن ينزع الملك ممن يشاء.

خرجت من محطة المترو، أصبحت موجود بميدان رمسيس من اتجاه مسجد الفتح، فعبرت الطريق الناحية المقابلة، لم اجد أى شخص فى الشارع؛ فالشوارع خالية تماما من الناس، "معقول ميدان رمسيس خالى من المتظاهرين"!

فقدت الأمل فى أن أجد أحدًا أنضم إليه، وبالفعل سرت على قدمى إلى نقابة المحامين، فوجدت المشهد المعتاد، عشرات على سلم النقابة يهتفون ضد مبارك ونظامه، فوقفت بجوارهم، وهتفت معهم بحماس، فبدأت الأعداد فى التزايد، وقوات الأمن تحيط بالنقابة من كل اتجاه، لا تريد خروجنا من الباب، وأغلقوا الباب علينا، بدأت بيننا وبينهم مناوشات خفيفة، وبدأنا ندفع الباب بقوة حتى خرجنا إلى الشارع، واتجهنا ناحية ميدان التحرير، ونحن نهتف: "الشعب يريد إسقاط النظام" أول هتاف منذ سنوات طويلة يستهدف رأس الدولة،

بدأت الأعداد تتزايد، وبدأ هتاف "يا أهلينا انضموا لينا" وبالفعل انضم عدد كبير من سكان هذه المنطقة، وصلنا إلى ميدان التحرير، أكثر من خمسة آلاف شخص من نقابة المحامين فقط.

فبدأ المتظاهرون يعسكرون فى الميدان، والاعداد فى تزايد مستمر من كل اتجاهات الميدان، الزحف مستمر على الميدان، فبالفعل كانت لحظة صحوة شعب بأكمله، وعند قدوم الليل جلس المتظاهرون فى أرض الميدان وأعلنوا الاعتصام حتى تحقيق مطالبهم التى تصاعدت على مدار اليوم، وأصبحت إسقاط النظام.

بدأ التعارف بينهم، واتخذ الجميع قرارًا واحدًا، عدم الرحيل إلا بعد تحقيق مطالبهم، جلسوا حتى الساعة الواحدة صباحا دون تدخل قوات الأمن.

حيث بدأت وسائل الإعلام واحدة تلو الأخرى تسحب بثها المباشر، وصدرت الأوامر بالفض بالقوة، وبالفعل انقضت قوات الأمن على المتظاهرين بخراطيم المياه فى البرد القارص، ولكن لم يؤثر ذلك فيهم، فبدأ ضرب القنابل المسيلة للدموع للتفرقة، حتى أصبح المشهد عبارة عن كر وفر بين الطرفين، طاردت قوات الأمن المتظاهرين فى شوارع القاهرة حتى وصولهم إلى موقف السبتية خلف قسم الأزبكية، وتم عمل كردون أمنى عليهم من كل الاتجاهات، وهنا بدأت الاشتباكات، وأظهر

عدد من المتظاهرين استبسالهم أمام قوات الأمن، حتى اقترب موعد أذان الفجر، نجحت قوات الأمن فى إخلاء المكان من المتظاهرين، فالبعض تم القبض عليه، والبعض الآخر قرر الانسحاب لحين تنظيم أنفسهم مرة أخرى، واكتفوا بما حققوا اليوم من تصدٍ للأمن والخروج عن المألوف، ودعوة الناس للخروج على مبارك، وكسر حاجز الخوف.

دخل أحمد البيت الساعة السابعة صباحا، وجد والدته تبكى قلقًا عليه، وعندما شاهدت منظر أحمد وكأنه قادم من معركة حربية صرخت وصكت وجهها.

"ليه يا بنى كدة حرام عليك، هتموتنى ناقصة عمر، يا بنى ليه روحت المظاهرات؟! مش كفاية اللى حصل لابوك؟ عايز مصيرك يبقى زيه"؟

لم يكن فى استطاعة أحمد أن يرد على أمه، فتجاهلها حتى لا يسيء الأدب ويعاملها بقسوة وحدة فى الكلام،
دخل أحمد غرفته وألقى بنفسه على سريره بملابسه.

استيقظ أحمد عصرا وبدأ يقص على أمه المشهد حتى يطمئنها، وأنه ليس وحده، مصر كلها معه وخرجت من صمتها ومن حالة الخوف والرعب.

فصرخت أمه فى وجهه: "يا بنى حرام عليك، ولما يجرالك حاجة هاعمل إيه أنا؟ إوعدنى إنك مش هتروح تاني".

وجد أحمد أن الكلام بدون جدوى، فتركها ونزل من البيت، وقام بالاتصال بأحد النشطاء الذين تعرف عليهم فى ليلة أمس، وعرف مكان تجمعهم، وذهب إليهم، خرجت عدة مسيرات وتظاهرات، ولكن ليس كما حدث أمس، أى خرجت على استحياء، وينتهى اليوم بمناوشات بين الشرطة والمتظاهرين وينتهى الأمر.

استمر ذلك حتى يوم السادس والعشرين والسابع والعشرين، وبالفعل تم اعتصام بعض المتظاهرين بميدان التحرير، ومن بينهم أحمد كرامة، وبدأ تجهيز مستشفى ميدانى، ومساهمة بعد الأطباء فيها، وإحضار البعض أدويه وأدوات إسعافات أولية للتدخل فى حالة وجود أى اشتباكات.

بدأت الدعوات للنزول يوم الجمعة، وقد قرر عدد كبير من الموظفين بالقطاع العام والخاص النزول للمشاركة، وعدد كبير من النقابات ومؤسسات الدولة.

obeikan.com

(١٣)

الأوامر والتعليمات التى حصلت عليها قوات الأمن من وزير الداخلية بعد اجتماعه مع رئيس الجمهورية: منع المتظاهرين من الوصول إلى ميدان التحرير بالقوة، ومهاجمة أى تجمعات، واتخذت الحكومة إجراءات تم الاتفاق عليها، ومن أهمها قطع شبكات الاتصال والإنترنت بعد الاتفاق مع شركات المحمول بأوامر من القيادة العليا نظرا لظروف أمنية، وبالفعل لا يوجد أى وسائل اتصال، ولكن لم يمنع ذلك المتظاهرين من النزول أو أن يضلوا الطريق، بل الجميع كان كله إصرار للمشاركة فى هذا اليوم.

خرجت حرية عبد السلام من أمام جامعة القاهرة، والتقت بزملائها كما فعلت فى الأيام الثلاثة السابقة، ولكنها لم يتثن لها فى السابق أن تصل إلى ميدان التحرير، فقوات الأمن فى هذه المناطق تفوقوا عليهم، ولكن هذه المره الأعداد أكبر، والحشد أكبر، والجميع قرر أن يشارك، وانهال عليهم أعداد كبيرة من المناطق الشعبية من بولاق وإمبابة وفيصل والهرم...

وبالفعل زادت الأعداد بشكل كبير، وبدأت اشتباكات مع قوات الأمن أثناء زحفهم لعبور الجسر للوصول لميدان التحرير، وهو الهدف الذى كانت تسعى إليه جميع المسيرات؛ فهذا الميدان هو قلب القاهرة، وبالفعل صعد المتظاهرون الجسر بعد محاولات مدوية من قوات الأمن لمنعهم.

وفى تلك اللحظة صعدت حرية على الجسر هى وزملاؤها فى مسيرة كبيرة جدا تحتوى على أعداد ضخمة، وقام المتظاهرون بالصلاة على الجسر، ولكن لم يجعل هذا الأمر قوات الأمن تتوقف، بل بالعكس؛ بدأت فى مواجهتهم بخراطيم المياه من كل اتجاه أثناء الصلاة، ولكن لم يتفرق المتظاهرون، وزادهم الأمر استبسالًا وحماسًا، فبدأت قوات الأمن بضرب الخرطوش، وإصابة بعض المتظاهرين، وبدأت الاشتباكات.

كان مشهد الكوبرى مشهدًا خياليًا لم يتوقع من بنى هذا الجسر أن يصعد عليه مرة واحدة هذه الأعداد الضخمة، فالمتظاهرين فى اتجاه، وقوات الأمن فى الاتجاه المقابل، وبينهم عربات ومدرعات قوات الأمن، وسحابة الدخان تغيم على المكان بأكمله، وقنابل الغاز أصبحت هى الهواء الوحيد على الكوبرى، لا يمكن أن تتنفس بدونها.

أمسكت حريه بعلم مصر واتجهت ناحية قوات الأمن ووقفت بين المتظاهرين وجنود الأمن المركزى وبدأت تلوح بالعلم لكى تفصل بين الطرفين، وظلت تعلو بصوتها فى صفوف الأمن الواقفة أمامها:

"إحنا ولادكم وإخواتكم، إحنا بنطالب بحقوقكم، أنا والدى كان واحد منكم ومات من الظلم، فكروا للحظة إحنا بنطالب بإيه، إحنا بننادى بالحرية، حريتنا وحريتكم من الظلم والاستبداد والقهر، أنتم اسياد البلد دى، أنتم مش عبيد المأمور.

إحنا بنطالب بالعيش، أبسط حقوقنا وحقوقكم، إننا نلاقيه بسهوله وبكرامة من غير بهدلة ومن غير ما نموت بعض عشانه.

إحنا بنطالب بالعدالة عشان كل المصريين يبقوا سواسية.

مفيش حد أحسن من حد، مفيش حد يبقى أفضل لمجرد إن ليه واسطة ولا محسوبية.
إحنا بنطالب بالكرامة، كرامتكم قبل كرامتنا، إحنا ضد إن أى حد يهينكم ويذلكم ويستعبدكم، لن نستعبد بعد اليوم".

وظلت تهتف: "عيش حرِّيَّة عدالة اجتماعية كرامة إنسانية" وعلم مصر يرفرف فى يدها، والمتظاهرون يهتفون من ورائها ويرددون الهتاف بمنتهى الحماس.

توقف الضرب بالفعل، وظل يفكر الجنود قليلا فى كلام حرِّيَّة، حتى أعطى قائد الفرقة الأوامر بالضرب، فلم يستجب أحد حتى على صوته: "اضرب يا حيوان أنت وهو".

فانهال الجنود بالضرب فى المتظاهرين، وخاصة حرِّيَّة انهالوا عليها بالضرب، وكأنهم يلقنونها درسًا على مواجهتها لهم ولنقطة ضعفهم، فهم أصبحوا مستسلمين للذل والمهانة.

حتى سقطت حرية على الأرض والدم يسيل من وجهها، وأدركت حينها حرية أنه لا يوجد بينهم عبد السلام والدها الذى أنقذ امها، فالحقيقة أن عبد السلام مات ضحية للظلم والفساد، فظلت تقاوم حتى صعدت مرة أخرى، وتفوق المتظاهرون على قوات الأمن، وبالفعل عبروا الجسر، واصبحت حرية ومن معها فى هذه اللحظة بميدان التحرير.

وبعد مرور ساعات تم حرق جميع أقسام الشرطه واقتحام السجون، وقتل الآلاف من المواطنين فى كل أنحاء الجمهورية، وعلى قدوم الليل أصبح لايوجد فى البلاد أى تواجد أمنى، وانسحبت الشرطه بالفعل، فلا يجد المواطنون إلا حمايه أنفسهم، وهنا ظهرت شهامة المصريين، نظم المواطنون لجانًا شعبيهدة لحماية بيوتهم، مصر بأكملها فى الشوارع.

(١٤)

استقر أحمد في الميدان، بدأ يجلس هنا وهناك مع كل من يقابله، جلس مع فنانين مشهورين، وجلس مع صحفيين، وجلس أيضا مع بسطاء من الطبقه الفقيرة، وجلس مع أطفال الشوارع، واستمع إلى مشاكلهم، وتكلم أيضًا مع البائعين المتجولين الذين جاؤوا الميدان ليبحثوا عن مصدر رزق، كل طوائف المجتمع موجودة بالميدان، والكل يد واحدة.

كان يوميًا يتجول أحمد في الميدان وهو يبحث عن حرِّيَّة عبد السلام حب عمره، يحلم أن يراها ولو للحظة، يتمنى أن تراه حرية وهو يثور وهو يهتف باسم مصر، يتمنى أن تعرف حرية عبد السلام أن أحمد كرامة تغير وصار الإنسان الذي تتمناه.

كان أحمد على يقين أن من المستحيل أن يخلو الميدان من حرِّيَّة عبد السلام رمز الانتماء وحب الوطن، الإنسانة التى عرَّفته "يعنى إيه مصر ويعنى إيه تراب مصر".

كان يستنشق رائحة عطرها فى كل مكان، ها هى حريه موجودة.

سأل عليها كل من يقابله فى الميدان، واكد له الجميع أنهم يعرفوها جيدا وأنها كانت موجودة معهم، ولكنها كعادتها تظهر وتختفى مره أخرى، هل أقابلها مرة أخرى.

ماذا أقول لها؟!

سوف أقول: "أنا اتأخرت عليكى، أنا تساهلت كتير فى حقك، أنا مدافعتش عنك، أنا رضيت تتظلمى ووقفت اتفرج، بس أنا خلاص من النهاردة مش هسكت، وهطالب بحقك، أنا بعشقك يا حرية، كم أنت غالية على قلبى يا حرية.

ومدد أحمد على أرض الميدان، وظل ينظر فى القمر، ورسم بداخله ملامح حرية، وظل يحدق فى القمر وكأنه يراه ولأول مرة.

تذكر أحمد أنه كان يدرس أن القمر جسم معتم، ولكن هذا النور هو نور حرية، تعكس ضوءها على هذا الجسم المعتم فتضيؤه، وتضيء الدنيا من حوله.

إحساس غريب كان ينتاب أحمد داخل الميدان أن حرية قريبة جدا منه وتراه وترى ما يفعله من أجلها، ولكنها ترفض أن تظهر له إلا فى وقت ما لتكافأه على مافعله من أجلها.

حتى وقعت عين أحمد على ملامح لشخص يعرفه جيدا، هذا الوجه الشاحب شديد السمرة، وهذه الرأس الخاليه من الشعر تماما.

وهذا الشارب قصير الأطراف والمكتظ بالشعر الأسود.

هل هذا معقول؟! هل هو أستاذ محمود الصعيدى مدرس التاريخ؟! يا لها من صدفة جميلة!

وبدأ يقترب أحمد خطوة، ويرجع الأخرى، وهو يقول: "هل يتذكرنى أم لا؟!

وماذا بى لو لم يتذكرنى وهو جالس مع هذا التجمع؟!

ياله من موقف محرج للغاية!

سوف أظل واقفا حتى ينصرف الجميع.

وماذا أحمد للحظات عن التفكير، وعاد مره اخرى، وما المحرج فى هذا؟! "طالب بيسلم على مدرسه، من الطبيعى إن الطالب يفتكر أستاذه، لكن مش دايما العكس بيحصل".

تقدم أحمد بثبات نحو هذا التجمع وألقى التحية عليهم.

فرد الجميع بما فيهم أستاذ محمود، فقال أحمد بصوت متحشرج: "إزيك يا أستاذ محمود"، فنظر إليه محمود، فعندما رآه وقف على قدميه وهلل فرحا، واحتضنه، "طبعا فاكر يا حمادة، عامل إيه يابني، وإيه اللى جابك هنا؟! من إمتى وأنت ليك فى الحاجات دى ووطنى، ده أنت كنت منشف ريقى ياشيخ، تصدق أنا فى غاية السعادة إنى شفتك النهارده يا واد يا غلباوي.

غمرت السعادة والفرحة أحمد، أستاذ محمود يتذكرنى جيدا، وقابله بحفاوة وترحاب لم يتوقعه.

-اتفضل يا أحمد تعالى جنبي.

أعرفكم يا جماعة أحمد، كان طالب عندى، بس كان مجنى مع إنه كان متفوق جدا ومهذب جدا مكنش فيه غير عيب واحد؛ أقول يا أحمد ولا أخلى الطابق مستور؟!

-لاء اتكلم براحتك يا أستاذ محمود.

-نفس العادة المنيلة، قلتلك لما توافق على حاجة ما تبدأش بأداة نفي.

فرد أحد الموجودين: "ماتحبكهاش يا أستاذ محمود، إحنا فى ثورة مش حصة نحو".

حتى ضحك الجميع.

-أصل أنتم مش عارفين أحمد ده، كان لما أحكى عن تاريخ مصر يرفع إيده ويقرفنى، ويقول: "كلمنا عن مستقبلنا إحنا اللى ما لوش ملامح" أقول له: "يا بنى اللى ما لوش ماضى ما لوش مستقبل" يقول لى: "الماضى عارفينه، لكن المستقبل هايجى منين وإحنا محلك سر".

أقول له: "خلاص لما تكبر يمكن تبقى وزير، وأعمل ساعتها اللى أنت شايفه صح".

يقول لى: "تفتكر ممكن يحصل تغيير فى البلد دى؟! أو الناس البسيطة ممكن يوصلوا لأى منصب، أنا يوم ما أكبر كبيرى هبقى زيك أو زى والدى، نعيش حياة بسيطة، ونلاقى اللقمة بعد ما نطفح الدم فيها وندور فى ساقيه لحد ما نموت".

- مع إنى كنت عارف إنه بيتكلم صح، وكنت معجب بتفكيره، لكن كنت بعنفه، خصوصا لما كان يضايقنى ويقول لى: أنا لما أكبر هبج من البلد الفقر دى، وأهو عدت الأيام وأحمد بيثور عشان مصر، ومستعد يضحى بروحه عشانها؛ لان البلد دى إحنا بنحبها وبنخاف عليها مهما بتوجعنا ومهما جات علينا، بنحبها ومنقدرش نستغنى عنها، وبالمناسبة دى انا هاكلمكم شوية عن المكان الرائع اللى جمعنا من غير ميعاد، عن ميدان التحرير، بس هاكلمكم عنه من زاوية تانية خالص.

رد أحد الموجودين: "منين بالظبط يا أستاذ؟ من طلعت حرب كده ولا من عند المتحف"؟!

نظر له أستاذ محمود باشمئزاز: "مين ده ياجماعة وجاى مع مين أبو دم خفيف ده"؟ فضحك الجميع.

فأشار أستاذ محمود بسبابته على رأسه: "كل التاريخ موجود هنا وهقولكم كل موقف وبالتاريخ بتاعه".

تكلم أحمد أخيرًا: "والنبى بلاش التاريخ يا أستاذى".

-"مفيش فايدة فيك يا منيل، لسة مبتحبش التواريخ، يا بنى افهم، التواريخ دى مهمة جدا، هى اللى بتوثق الحدث.

أقولك.. أنت دلوقت بتشارك فى ثورة، حد هيقول مثلا ثورة أحمد أو محمود؟! لأ طبعا، هيقول: ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ يعنى تاريخ.

التاريخ ده معناه أنا وأنت وكل جيلك ، وهتفضل تفتخر إنك من الجيل ده، جيل التاريخ ده، وعشان كدة من حق الأجيال اللى قبلنا نفتخر بيهم.. فهمت يا أحمد"؟

رد أحمد: "الله ينور عليك يا أستاذى اتفضل أكمل".

بدأ أستاذ محمود، وكأنها حصة من حصص المدرسة، وهو يقص عليهم تاريخ الميدان.

من منا لم يعرف ميدان التحرير ،و يمر منه يوما ذاهبا إلى العمل أو لقضاء مصلحة شخصية له فهو قلب القاهرة.

ولكن ما لم يعرفه أحد عن هذا الميدان شرارة الثورة؛ أن ميدان التحرير هو«ميدان الإسماعيلية»، «ميدان الكوبرى»، «ميدان الخديوى إسماعيل»، «ميدان الحرية»، «ميدان التحرير» كلها مسميات حملها ذلك الميدان، الذى ظهر للحياة منذ قرن ونصف القرن بقرار من الخديوى إسماعيل، الذى أراد عبر مشروعه التاريخى فى القاهرة الخديوية أن يجعل العاصمة المصرية نموذجًا لعواصم أوروبا، واستعان فى سبيل ذلك بمهندس التخطيط الفرنسى الشهير «هاوس مان»، وجعل

المدير التنفيذى للمشروع على باشا مبارك، لينجح ذلك الثنائى فى تحويل تلك المنطقة التى لم تكن سوى مجموعة من الكثبان الرملية والبرك والمستنقعات، إلى شوارع وميادين وأرض مستوية على جوانبها أرصفة وبيوت منفردة عن بعضها البعض.

إن أهم مبانى الميدان هو المتحف المصرى الذى ضم كنوز الحضارة المصرية، وعهد فى العام ١٨٦٣ للفرنسى ميريت باشا ببنائه، وتم افتتاحه عام ١٩٠٢ فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى، وكذلك سراى الخواجة جناكليس، الذى كان مقرًا لأول جامعة أهلية مصرية عام ١٩٠٨ بإيجار سنوى قدره ٣٥٠ جنيهًا.

إن هذا المبنى هو مقر الجامعة الأمريكية الحالى، أما كوبرى قصر النيل - الشهير بأسوده الأربعة عند مدخليه - فقد بدأ إنشاؤه عام ١٨٦٩، وتولت عمليات الإنشاء شركة «فيف ليل» الفرنسية، وافتتح رسميًا عام ١٨٧٢، أما أسوده الأربعة فقد نحتها مثال سويسرى اسمه «جاكمار»، وكلفت الحكومة المصرية مبلغ ٩٠ ألف فرنك سويسرى.

أما مجمع التحرير بدأ بناؤه عام ١٩٥١ واكتمل عام ١٩٥٢، وضم ١٣٥٠ حجرة فى ١٤ طابقًا، على مساحة ٤٥٠٠ متر وارتفاع ٥٥ مترًا، وكان الهدف منه ضغط حجم النفقات، التى تنفقها الحكومة على إيجارات المصالح والهيئات، وكذلك مبنى وزارة الخارجية القديم، الذى كان قصرًا

للأمير كمال الدين حسين، الذى رفض عرض أبيه السلطان حسين كامل، تولى حكم مصر عام ١٩١٧، مبررًا ذلك بأن بقاءه كأمير يمنحه فرصة أكبر لخدمة وطنه، أما مبنى جامعة الدول العربية، فقد أنشئ على أنقاض ثكنات الجيش الإنجليزى، وتكلف إنشاؤه نصف مليون جنيه.

«نحن فداؤك يا مصر».. هكذا هتفت الملايين يتقدمهم الرئيس الأسبق جمال عبدالناصر، فى تشييع جنازة الشهيد عبدالمنعم رياض، فى ميدان التحرير، فى ميدان التحرير صباح ١٣ نوفمبر عام ١٩٣٥ فى ذكرى يوم الجهاد، بسبب تصريحات وزير الخارجية البريطانى وقتها، بعدم صلاحية العودة للعمل بدستور الأمة الصادر عام ١٩٢٣، يومها تحول الميدان لساحة حرب ما بين هراوات البوليس ورصاصه، وبين طلاب الجامعة، واستمرت المظاهرات لمدة أسبوعين، انتقلت بعدها لأقاليم القطر كله، وسقط فيها شهداء كثيرون، لكنها انتهت بعودة العمل بدستور ١٩٢٣.

لكن مرة أخرى يسقط الشهداء، فى ميدان التحرير فى فبراير ١٩٤٦ فى انتفاضة جديدة للشباب، والسبب تلك المرة هو فشل مفاوضات النقراشى باشا مع الإنجليز الذين رفضوا الجلاء، ليخرج المصريون فى مظاهرات سلمية، عمت أرجاء مصر، واضعين فى صدورهم شارات برونزية دائرية كتب عليها «الجلاء».

الغريب أن سيارات الجيش البريطانى، صدمت المتظاهرين فى هذا اليوم، وأطلقت عليهم الرصاص، وطارد المصريين عددٌ من الجنود والسيارات البريطانية، وكان تصريح رئيس الوزراء يومها إسماعيل صدقى، أن تدخل رجال الأمن كان لحفظ النظام ومنع الدهماء من التدخل.

وعلى طريقة «وجبات كنتاكى» تلقى عبدالرحمن بك الرافعى، وكيل النيابة، بلاغًا مشبوهًا قال فيه صاحبه إنه شاهد أشخاصًا يطوفون شوارع القاهرة، أثناء المظاهرات، ويوزعون نقودًا على قادة المتظاهرين.

والأكثر من هذا أنه جرى تحقيق لمعرفة سبب خروج سيارات الجيش البريطانى، لقتل المتظاهرين فى شوارع القاهرة، ومظاهرة أخرى خرجت لـ«التحرير» سميت «المليونية» فى ١٤ نوفمبر ١٩٥١، ولم يكن لها سوى مطلب واحد، وهو رحيل الاحتلال الإنجليزى عن مصر، وتخليد شهداء الأمة الذين راحوا دفاعًا عن حرِّيَّة مصر.

ورفع المتظاهرون شعار «ماء النيل حرام على الإنجليز»، وكانت مظاهرة سلمية غاية فى الرقى، رغم تعدد أطياف المصريين الذين شاركوا فيها، ومع اختلاف التغطية الإعلامية وقتها، عما حدث فى ثورتنا هذه، خرجت جريدة «الأهرام» فى اليوم التالى للمظاهرة، بمانشيت «أكثر من مليون يشاركون فى أكبر مظاهرات شهدتها مصر»، ومانشيت آخر قالت فيه «الشعب قد نفد صبره».

وفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، قامت حركة الضباط الأحرار، وفى يناير ١٩٥٣ نظم الجيش فى قلب أشهر ميدان بمصر، احتفالًا أطلق عليه اسم «مهرجان التحرير»، التحم فيه الجيش والشعب وصارا يدًا واحدة، احتفالًا بمرور ٦ أشهر على الثورة ونجاحها، ويومها تغير اسم ميدان الإسماعيلية إلى ميدان التحرير، وردد ما يزيد على مليون مصرى كانوا هناك، قسم التحرير وراء محمد نجيب، وكان من بين كلماته: «لن يقوم فى أرضنا طاغية، مادامت هذه الصفحات من تاريخنا». وذكرت الصحافة بعدها أن أهم ما ميز تلك الاحتفالية الضخمة هو اختفاء النشالين ومضاعفة المخابز إنتاجها، وتحقيق الفنادق المحيطة بالميدان أعلى نسبة إشغال بها، حتى إن بعض أصحاب العربات الكارو أجروا الوقفة على عرباتهم لمشاهدة العرض بقرشى صاغ.

سنوات مرَّت قبل أن تتسبَّب هزيمة ١٩٦٧ بعودة المصريين إلى الميدان.

وعلى استحياء بدأت التظاهرات تتجه إلى الميدان للمطالبة بمحاكمة المسؤولين عن الهزيمة، وضرورة الثأر واستعادة الأرض.

لكن فى عام ١٩٧٢، تدفقت تظاهرات طلبة الجامعة وغيرهم من فئات الشعب على الميدان، مطالبةً الرئيس أنور السادات بإنهاء حالة اللاحرب واللاسلم.

كانت تظاهرات ١٩٧٢ هى الأكبر والأقوى، حيث تمكن المتظاهرون من تحرير الميدان من قوات الأمن والاعتصام بداخله.

لم تستطيع قوات الأمن فضَّ الاعتصام إلا بمجزرة عنيفة لا تزال حاضرة بقوة فى أذهان كل من حضروها.

وتكرر المشهد فى هذه الأيام ليظل ميدان التحرير رمزًا وقبلة قبل أن يكون مكانًا.

وختم أستاذ محمود بقصيدة الشاعر الكبير أمل دنقل (الكعكه الحجرية).

أيها الواقفونَ على حافةِ المذبحة
أشهروا الأسلحة!
سقط الموتُ، وانفرطَ القلبُ كالمسبحة
والدم انساب فوق الوشاح!
المنازلُ أضرحة
والزنازنُ أضرحة
والمدى.. أضرحة
فارفعوا الأسلحة
واتبعوني!

obeikan.com

أنا ندمُ الغدِ والبارحة

رايتى عظمتان وجمجمة،

وشعاري: الصباح!

(الإصحاح الثاني)

دقَّتِ السَّاعةُ المُتْعَبَة

رفعت أمُّهُ الطيبة

عينَها..

(دفعتْهُ كُعوبُ البنادقِ فى المركبة!)

.....

دَقَّتِ السَّاعَةُ المُتْعَبَة

نهضَتْ، نَسَّفَتْ مكتبَه..

(صفعَتْهُ يدٌ..

- أدخلتْهُ يدُ اللهِ فى التجربة -)

.....

دقت الساعة المتعبة

جلست أمُّهُ، رتَّقَتْ جوربَه..

- (وخزَتْهُ عيونُ المُحَقِّقِ..

حتى تَفَجَّر من جلدِهِ الدمُ والأجوبة!)

.....

obeikan.com

دقت الساعة المتعبة!

دقت الساعة المتعبة!

(الإصحاح الثالث)

عندما تهبطين على ساحة القوم لا تبدئى بالسلام

فهم الآن يقتسمون صغارك فوق صحاف الطعام

بعد أن أشعلوا النار فى العش..

والقش..

والسنبلة.

وغدا يذبحونك.. بحثا عن الكنز فى الحوصلة!

وغدا تعتدى مدن الألف عام

مدنا.. للخيام

مدنا ترتقى درج المقصلة!

(الإصحاح الرابع)

دقت الساعة القاسية

وقفوا فى ميادينها الجهمة الخاوية

واستداروا على درجات النصب

شجرا من لهب

تعصف الريح بين وريقاته الغضة الدانية

فيئن: "بلادى.. بلادى"

obeikan.com

(بلادى البعيدة)!

.....

دقت الساعة القاسية

"انظروا" هتفت غانيةٌ

تتمطى بسيارة الرقم الجمركي،

وتمتمت الثانية

سوف ينصرفون إذا البردُ حلَّ.. ورانَ التعب

.....

دقت الساعة القاسية

كان مذياعُ مقهى يُذيع أحاديثه البالية

عن دعاة الشغب

وهم يستديرون

يشتعلون – على الكعكعةِ الحجريةِ – حول النُّصُب

شمعدان غَضَب

يَتَوَهَّجُ فى الليل

والصوتُ يكتسح العتمة الباقية

يتغنى لليلة ميلاد مصر الجديدة!

(الإصحاح الخامس)

اذكريني!

obeikan.com

فقد لوثتنى العناوين فى الصحف الخائنة!
لوَّثَتْنى.. لأنى منذ الهزيمة لا لون لي
(غير لون الضياع)
قبلها، كنت أقرأ فى صفحة الرمل
والرمل أصبح كالعُملة الصعبة،
الرمل أصبح أبسطة.. تحت أقدام جيش الدفاع)
فاذكريني، كما تذكرين المُهَرِّبَ.. والمطربَ العاطفى..
وكاب العقيد.. وزينة رأس السنة
اذكرينى إذا نسيتنى شهود العيان
ومضبطة البرلمان
وقائمة التهم المعلنة
والوداع!
(الإصحاح السادس)
دقت الساعة الخامسة
ظهر الجند دائرة من دروع وخوذات حرب
ها هم الآن يقتربون رويدا.. رويدا..
يجيئون من كل صوب
والمغنون – فى الكعكة الحجرية – ينقبضون
وينفرجون

obeikan.com

كنبضة قلب!

يشعلون الخناجر،

يستدفئون من البرد والظلمة القارسة

يرفعون الأناشيد فى أوجه الحرس المقترب

يشبكون أيديهم الغَضَّة البائسة

لتصير سياجا يصد الرصاص!

الرصاص..

الرصاص..

وآه...

يغنون، "نحن فداؤك يا مِصْرُ"

"نحن فداؤ... "

وتسقط حنجرة مخرسة

معها يسقط اسمُكِ يا مصرُ – فى الأرضِ

لا يتبقى سوى الجسد المتهشم والصرخات

على الساحة الدامسة

دقت الساعة الخامسة

.....

دقت الخامسة

.....

obeikan.com

دقت الخامسة

وتفرَّقَ ماؤكَ – يا نهرُ – حين بلغت المصب!

المنازل أضرحة، والزنازن

أضرحة، والمدى أضرحة

فارفعوا الأسلحة!

ارفعوا الأسلحة.

صفق الجميع بحرارة ودموعهم جميعا تتساقط من أعينهم كالمطر، ما هذا التاريخ الذى يعيد نفسه، ورغم ذلك لم نتعلم منه ونكرر أخطاءنا.

obeikan.com

(١٥)

تمت الدعوة لمليونية بميدان التحرير والميادين الأخرى فى شتى المحافظات.

وبالفعل صباح يوم الثلاثاء أصبح العدد داخل ميدان التحرير يفوق المليون، وظهر المتظاهرون بمشهد أكثر من رائع، غاية فى التحضر والسلمية. أحاط الشباب بالميدان من جميع الاتجاهات من خلال اللجان الشعبية لحماية الميدان.

بدأ يعتمد الشباب على أنفسهم فى التأمين داخل الميدان، عالم آخر لم تره إلا فى مدينة أرسطو، المدينة الفاضلة بالفعل كانت مدينة فاضلة.

الشباب يحيطون بالميدان من كل الاتجاهات، والبعض يحيط بالسيدات لحمايتهم من التحرش، والبعض يقيم صفوفًا لأداء فريضة الصلاة فى جماعة، ودائرة من الشباب المسيحيين يحيطون بهم لحمايتهم. وبعض الأقباط أنشؤوا قداسًا، والشباب المسلمون يحيطون بهم لحمايتهم.

ومجموعة من الشباب الموهوبين فى الرسم قاموا بإنشاء معرض الميدان، ووضعوا على الأرصفه لوحاتهم التى تعبر عنهم وعن ثورتهم. ومجموعة

آخرى من الشعراء يلقون الشعر الذى يبث العزيمة داخل الشباب، ومجموعة تغنى أغانى وطنية تلمس الوجدان وتحمس الشباب كأنهم جنود على الجبهة.

ومستشفى ميدانى مكونة من مجموعة أطباء مخلصين تطوعوا من أجل إسعاف المتظاهرين.

كل شيء أصبح موجودًا بالميدان، ماعدا الكره والحقد، لا أحد يجوع داخل الميدان، فبجانبه شخص لايعرفه يمده بالطعام، ويقتسمونه سويا، لا أحد يشعر بالبرد، فبجانبه من يعطيه الغطاء لكى يحميه من البرودة.

بالفعل لقد جسد الشباب داخل الميدان المدينة الفاضلة التى باتوا يحلمون بها طوال عمرهم.

حتى اقترب الليل، وظل أحمد يفكر كالعادة فى حرّيَّة، حتى سمع صوت شخص يقول: "إن الرئيس سوف يصدر خطابًا الآن، فتوجه الجميع نحو شاشة العرض الموجودة بالميدان، والتف الآلاف حول شاشة العرض ينتظرون الخطاب ويتمنون بداخلهم أن تكون نهاية الرئيس الليلة.

فظل يهتف الجميع: "يارب الليلة.. يارب الليلة "ويهتفون هتافهم المفضل: "الشعب يريد إسقاط النظام".

حتى بدأ الخطاب، وظهر مبارك ثابتًا متعجرفًا، وأعلن بكل إصرار أنه مستمر، وأنه لن يترك السلطة، وأنه سوف يعيش ويموت على أرض مصر.

كانت هذه الكلمات لها مفعول السحر عند بعض من فى بيوتهم ولم يحددوا موقفهم بعد، وأكسبت الرئيس تعاطفهم.
ولكن الرأى فى الميدان كان مختلفًا، وهو الهتاف بأعلى صوتهم: "ارحل ارحل ارحل" حتى ظل الهتاف لعدة ساعات، نعم أدرك من فى الميدان أن الأمر ليس بهذه السهولة، وعندما قاربت الساعة على الثالثة صباحا بدأ الجميع فى الانتشار على أرض الميدان للنوم.

وإذا بصوت طائرة حربية تقترب جدا من المتظاهرين من مسافة منخفضة جدا تجوب الميدان بأكمله، لم يكن السبب واضحًا: هل هي آتية للاستطلاع أم للترهيب، ولكن فى كلتا الحالتين اتخذ المتظاهرون القرار الفورى وظلوا يشيرون إليها ويهتفون: "ارحل ارحل ارحل". وكأنهم يشاهدون مباركًا بداخلها، وأنه جاء ليستطلع الأمر بنفسه.

obeikan.com

(١٦)

اقترب موعد أذان الفجر، توجه أحمد إلى المسجد للوضوء، رأى شخصًا جالسًا بجوار المسجد، وهو رجل ستينى يرتدى معطفًا أسود، ويلحم ساقيه فى جسده من شدة البرودة، ويظهر عليه الإجهاد، يشبه بكثير الحاج كرامة والده، لدرجة أن أحمد للحظة تخيله والده، أو تمنى أن يكون، اتجه أحمد إليه وألقى التحية، فلم يرد الرجل وأشار بيده تعبيرا عن رفضه للحديث مع أحمد، هذا ما زاد إصرار أحمد للكلام معه، والفضول لمعرفة ما بداخله.

-"إيه ياحاج مش عايز ترد علىَّ ليه؟ أنا عايز اطَّمن عليك، اعتبرنى زى ابنك وقولى مالك، يمكن اقدر أهون عليك"، قال أحمد هذه الكلمات حتى انفجر الرجل فى البكاء.

جلست بجواره واتخذته بين ذراعى وأنا اشعر بالذنب، بالتاكيد أيقظت جرحًا ما بداخله، وبصراحة شديدة كان بداخلى إحساس أننى أحتضن والدي.

-"آسف ياحاج، هو أنا ضايقتك بكلامى؟ أنا بس كنت عايز اطمن عليك؟ أقولك الصراحة.. أنت فيك شبه كبير من والدى الله يرحمه، وأنا بجد محتاج اتكلم معاك قوي. ياريت تعتبرنى ابنك وتفضفض لى وتحكيلى مالك".

هذه المرة رد الرجل: "أنت عايز ايه بالظبط ارجوك سبنى فى حالي".

-أحمد: أنا عايز اطمن عليك وأعرف إيه حكايتك، يمكن ربنا يقدرنى وأهون عليك.

-الرجل: وهتفرق حكايتى معاك فى إيه؟

-أحمد : هتفرق كتير يا حاج، والدى مر بلحظات قبل وفاته لا تفرق عن ما أنت فيه، ولكنى كنت يومها شخص أنانى لا يفكر إلا فى نفسه، ولم أجلس معه وأقترب منه وأهون عليه، حتى مات، مات واتقهر من الظلم اللى احنا عايشينه.

وفى هذه اللحظة احمر وجه أحمد، وسقطت دموعه بغزارة وهو يرتجف.

مد الرجل يده، وطبطب عليه، وقال: ادع له بالرحمة، هو فى مكان أحسن بكثير.

قام أحمد والرجل متجهين إلى المسجد لأداء الصلاة، وبعد أن انتهى من الصلاة بدأ الرجل يقص عليه حكايته وكأنه كان فى حاجة لأن يُخرج كل ما بداخله، فقال كل كلامه دفعة واحدة، وأنا لم أستطع أن أقاطعه.

يا ابنى أنا كان عندى ابن وحيد اسمه خالد، كان هو كل اللى طلعت بيه من الدنيا، تعبت كتير لحد ما علمته وكبرته، وكانت فرحتى الكبيرة عندما تخرَّج في كلية الطب، كان أسعد يوم فى حياتى.

جاءت فرصه كبيرة لابنى نظرا لتفوقه، فرشحه أستاذ كبير قوى أن يعمل فى مستشفى الرحمة، نعم مستشفى الرحمه التى يمتلكها الدكتور عز الدين هلال وزير الصحة.

كانت فرصة يحلم بها أى شاب فى بداية حياته المهنية، كان عندي قرشين محوشهم أعطيتهم لخالد لشراء عربية صغيره يذهب بها للعمل، فرح خالد كثيرا بهذه الفكرة لتوفير الوقت والجهد؛ لأننا

كنا من سكان عين شمس، والمستشفى موجودة بالهرم، فكان المشوار مرهقًا للغاية.

فى يوم من الأيام أثناء ذهاب خالد إلى المستشفى وجد فى الطريق بجوار المستشفى حادثة، نزل من سيارته وقام بتفرقة الناس وهو يقول: "أنا دكتور، فحص المصاب، وجد به إصابات بالغة، فحمله هو ورجلين آخرين إلى سيارته، وذهب به إلى المستشفى.

دخل خالد مستشفى الرحمة، وحجز له غرفه وسجل بياناته الشخصية حتى تتم الإجراءت بسرعة. أوقع خالد الكشف على المصاب، وأجرى له أشعة على المخ، واتضح أنه لا يوجد به إلا بعض الكدمات السطحية ويحتاج لراحة لمدة يومين حتى يطمئن عليه.

وأبلغ خالد مدير المستشفى بهذه الحالة، وانصرف خالد من المستشفى وعندما وصل إلى البيت جاءته مكالمة تليفونية من مدير المستشفى يطلب من خالد أن يتوجه إلى فرع المستشفى بالإسكندرية لوجود حالة هناك لا بد أن يتابعها بنفسه، اندهش خالد من هذه المكالمة، وقال لى وقتها: "فى أطباء كبار فى فرع إسكندرية، إشمعنا أنا بالذات" كان ردى وقتها: "يا ابنى دى حاجه تخليك مبسوط إنهم بيعتمدوا عليك ومقدرين كفاءتك".

وبالفعل سافر خالد للإسكندرية، ولكن أخبرنى أنه قبل أن يسافر سوف يمر على المستشفى ليطمئن على الحالة التى نقلها أمس للمستشفى، وبالفعل مر خالد على المصاب وهو اسمه هنداوي.

- خالد: صباح الخير ياراجل يا طيب عامل إيه دلوقت.

- هنداوى: الحمد لله يا دكتور البركة فيك ربنا يباركلك ويجازيك خيرًا.

- خالد: الحمد لله يا حاج، أنت بقيت أحسن، هتفضل معانا النهاردة، وبكرة هيكتبولك على خروج من المستشفى.

وأخذ خالد رقم تليفون ابنة الحاج هنداوى، وأخبرها أن والدها عمل حادثة، ووصف لها المستشفى، وقال لها: "سجلى رقمى لو أى حاجه حصلت كلمينى".

وسافر خالد إلى الإسكندرية، وجد الأمور طبيعية فى المستشفى، لا يوجد أى سبب مقنع لإرساله إلى المستشفى، ولكنها كانت فرصه أن يختلى بنفسه على البحر، فكان خالد شخصية رومانسية جدا.

واليوم التالى اتصلت أمينة بنت الحاج هنداوى به.

-ألو.. أيوة يا دكتور أنا أمينة بنت الحاج هنداوى.

-خالد: أهلًا بيكى.. ها الحاج خرج معاكى بالسلامة.

-أمينه: أنا رحت المستشفى، بس ملقتوش، ملقتوش يادكتور، وظلت تبكي.

-خالد: يعنى إيه ملقتهوش.. مش فاهم.. إهدى كدة، وقوليلى إيه اللى حصل.

-أمينه: قالوا لى: أبوكى مات، مات يادكتور، مع إنى امبارح زرته كان كويس ومفهوش حاجة.

لم يرد خالد.
دخل فى حالة من الذهول، ولكن أكملت أمينة كلامها: "طالبين منى أجرة الغرفة ٢٠ ألف جنيه يا إما مستلمش جثة أبويا، أنا عايزة أبويا، عايزة أدفنه بنفسى، مش هيبقى موت وخراب ديار"-
- خالد: استجمع بعض الكلمات سيبى المستشفى دلوقت، وامشى عشان محدش يؤذيكى، وانا هاتصرف وهاكلمك النهاردة.

(١٧)

صباح يوم الأربعاء، هذا يوم من أيام حرية بالميدان، تستيقظ من نومها صباحا وهى تشعر بنشاط غير عادى على الرغم من نومها يوميا بالميدان، وهى جالسة، وراسها تميل قليلا إلى كتف أحد أصدقائها. ورغم ذلك تستيقظ من نومها دون أى شعور بتعب أو إرهاق.

تشرق الشمس كالعادة من وجه حرِّيَّة فتضيء الكون وما حوله، تتجه حريه إلى ميدان طلعت حرب، وتتوجه نحو مطعم فلفلة حيث الفول المطحون فى الزيت والزبده السائحة، وأقراص الطعمية الساخنة، المتناثر عليها حبات السمسم وحشوه بخلطه سحرية.

تطلب وجبات لأكثر من خمسين شخصًا، وتدفع ثمنهم، وتقابلها صديقتها نيفين التى تسكن بجوار الميدان وهى تحمل إليها أكثر من خمسين زجاجه مياه، ويتجهان معا إلى الميدان، وتقوم حرية بتوزيع الإفطار بشكل

عشوائى على من فى الميدان، أشخاص لاتعرفهم من قبل تتوجه عليهم بابتسامة لطيفة وكأنها مضيفة: "تفضلوا بالهنا والشفا".

كانت تشعر بسعادة لا توصف عندما يتم الدعاء لها من رجل كبير فى السن أو سيده عجوز.

تنتهى حرية من توزيع الوجبات، ولم يتبق لها 'لا سندوتش فول تأكله وتحمد ربها. كانت السعادة التى تشعر بها فى هذه اللحظات أهم من كنوز الدنيا، وذهب الدنيا كله، فلم تتردد للحظة. عندما باعت حرية ذهب والدتها التى كانت تدخره، لها وتشترى بهذه الأموال وجبات كل يوم.

كانت تفعل حرِّيَّة ذلك فى الغداء أيضا؛ حيث تتجه إلى محل كشرى "سيد حنفى" وتشترى خمسين علبة كشرى وتقوم بتوزيعهم كما فعلت فى الفطور.

بالفعل أصبحت حرية أشهر شخصية فى الميدان، يعرفها معظم من فى الميدان، ومن لم يعرفها سمع عنها.

بدأت تتجول حرية فى الميدان، وإذا بصوت الميكروفون من على المنصة الرئيسيه يدعو المتظاهرين أن يتطوع البعض لحماية الميدان لوجود بعض المناوشات من أنصار مبارك مع المتظاهرين على مدخل الميدان.

وكان الجيش قد اتخذ موقف المتفرج، ولم يتدخل لمنع وصولهم إلى الميدان.

استعد المتظاهرون، وقسموا أنفسهم، واستعدوا لأية مفاجأة، ولكن لم يخطر ببال أحد ما حدث.

توجهت إلى الميدان مجموعات يتقدمها أشخاص يركبون الجمال والخيول ويحملون بأيديهم أسلحة بيضاء، وهجموا على الميدان من ناحية ميدان عبد المنعم رياض، وبدأ الاشتباك بينهم وبين المتظاهرين، وبدأ الكر والفر داخل الميدان.

فأصبح المشهد بالميدان يشبه صورة باهتة لفيلم تاريخى، خيول وجمال وبلطجة، ولكن تصدى لهم المتظاهرون بكل قوة، وأمسكوا بالبعض منهم، ولكن الإصابات فى كل مكان وأثر الاشتباكات.

وإذا بحرية تجد سيدة عجوز ملقى بها على الأرض وبها إصابات بالغة احتضنتها حرِّيَّة، وحملتها وظلت تجرى بها بسرعة، البرق وكانها تحمل شيئا هشًا، حتى وصلت بها إلى المستشفى الميدانى، وسلمت لهم السيدة، وجلست بجوارها تصب عرقا، وتلهث بسرعة دون توقف، تم بالفعل إسعاف السيدة، لم تتركها حرية حتى اطمأنت عليها، نظرت السيدة لحرية وقالت:

"ربنا يخليكى يابنتى ويحفظك من كل سوء، ويسترها معاكى دنيا وآخرة"!

يا الله لا توصف سعادة حرية بعد هذه الدعوات.

المشهد فى المستشفى الميدانى صعب للغاية، ملقى أعداد كبيرة من المتظاهرين، طول فترة الاشتباكات، حتى الليل، وكانت من ضمن الأطباء الموجودين الدكتورة نور المهدى طبيبة حديثه التخرج، خرجت من منزلها هى وأبوها وأمها إلى الميدان، كل منهم يقوم بدوره فى الميدان، أبوها محمد المهدى وسط المتظاهرين، وأمها الدكتورة آمال طبيبة صيدلانيه تمد المستشفى الميدانى بالأدوية اللازمة، أما نور تقوم بدورها كطبيبة.

كانت نور معجبة جدًا بشجاعه أحمد، لم تنس عندما قابلته بالمستشفى الميدانى عندما تلقى العلاج منها ولم تشعر للحظه أن أحمد يشعر بأى ألم، كان كل تركيزه فى حماية الميدان، تلقى العلاج وأسرع إلى الميدان مرة أخرى، وتكرر هذا المشهد عدة مرات، يعود لها احمد مصاب يتلقى العلاج ويخرج لحماية الميدان، ويعود وهو يحمل على أعناقه شخصًا مصابًا، كم أعجبت نور بشجاعه أحمد وحماسه، وأيقنت نور أن هذا هو الشاب الذى تتمناه، فلم يشغل أحد من قبل قلب نور لأنها كان لا يشغل بالها إلا عملها ومن قبل دراستها.

كانت تضع نور مواصفات صعبة جدا لفارس أحلامها، وعندما تحكى لأمها كانت تضحك وتقول: "هتلاقيه فيين ده يا بنتى؟! ده ولا فى الاحلام".

ولكن نور تخلت عن كل هذه المواصفات عندما رأت أحمد، نعم هو الحب من أول نظرة، على الرغم من أن أحمد غير وسيم، ولكن ملامحه الشرقية الخالصة، ورجولته وشجاعته كانت كفيلة بأن تذوب نور فى عشق أحمد.

- أحمد: إزيك يادكتوره عامله إيه.

- نور: الحمد لله بخير... إزاى صحتك دلوقت يا أحمد. يارب تكون بخير.

- أحمد: البركة فيكى يا دكتورة.

- نور: ممكن نتفق اتفاق يا أحمد.

- أحمد: خير.

- نور: ممكن تقولى يا نور... إحنا مش أصحاب برضه وزملاء كفاح.

ضحك أحمد: ده شيء يشرفنى يادكتورة.

- نور: تاني

obeikan.com

- أحمد : خلاص يايايا نور.

ابتسمت حينها بخجل حتى احمر وجهها من الخجل والكسوف.

كانت نور جميلة الوجه موردة الوجنتين، رقيقة الملامح، وعيناها سوداوين لامعتين عامرتين بالرقة والخير.

لم ينكر أحمد أنه بالفعل اتشد لنور وأعجب بشخصيتها وبدورها فى الميدان، كان يرى أنها بالفعل بنت بميت راجل، وعلى مستوى الجمال تصنف فائقة الجمال، بالفعل هى ملاك رحمة.

ولكن لم يؤثر ذلك أبدا على حبه لحرية وعشقه لها، كان يرى ـن حب حرِّيَّة حب من نوع آخر، حب ليس له مثيل، حب روحى ووجدانى، حب بالفطرة.

وعندما أحس أحمد أن نور معجبة به بدأ يقص عليها حكايته مع حرِّيَّة ومدى حبه لها وإنه لم ينسها، ولايستطيع أن يعيش إلا لحرية، فالحياة بالنسبة له هى حرية.

نعم صدمت نور وقتها، ولكنها بعد ذلك زادت إعجابًا بأحمد الإنسان المخلص لحبيبته، بالفعل أحمد هو فارس أحلامها، ولكن من المستحيل أن يكون لها، فحبها لأحمد حب من طرف واحد.

(١٨)

لم يصدق خالد ماحدث، كيف مات الحاج هنداوى، عاد إلى القاهرة، وذهب إلى المستشفى قبل أن يذهب للمنزل.

وبالفعل؛ لم يجد الحاج هنداوى فى غرفته، إذًا ما قالته حقيقى، ذهب إلى مكتب مدير المستشفى.

- صباح الخير يا دكتور.

- صباح الخير يا خالد.

- إيه اللى جابك من إسكندرية.

- الحاج هنداوى فين يا دكتور.

- آه.. البنت المجنونة دى أكيد اتصلت بيك.

- على العموم الحاج هنداوى تعيش أنت.

- جاله نزيف بعد سفرك، وانتقل إلى رحمة الله.

- ازاى يا دكتور، أنا كشفت عليه بنفسى وكانت حالته مستقرة.

- الاعمار بيدى الله.

opeikan.com

- طب الجثة فين يا دكتور.

- الجثة فى الثلاجة، وبعدين أنت بتستجوبني؟

- أنت هاتعرفنا شغلنا؟

- لأ العفو يا دكتور، بس بنته من حقها تستلم الجثة.

- البنت دى مش مؤدبة، واحنا طردناها من هنا، تجيب الفلوس تاخذ جثة أبوها.

وياريت يا خالد تطلع نفسك من الموضوع ده؛ لأن أنت اللى جبت الراجل ده هنا.

وكان مفروض يحصل تحقيق فى الحادثة، وكان ممكن اتهامك بأنك أنت اللى صدمته بعربيتك.

شعر خالد من طريقة كلام مدير المستشفى أنه يريد أن يخفى شيئا ما، ويهدده حتى لا يكتشف هذه الحقيقة.

خرج من المستشفى وذهب إلى البيت، ظل يفكر طوال اليوم عن سبب لما حدث، ولكن لم يجد سببًا مقنعًا لما حدث.

خرج من المنزل فى منتصف الليل، وذهب الى المستشفى، ودخل المشرحة وبعد الكشف وجد أن الحاج هنداوى قد تم له عدة عمليات جراجية لنقل الأعضاء فلم يتحمل لكبر سنه فأدى ذلك لوفاته.

obeikan.com

قام بالاتصال بيوسف عز الدين ابن الوزير ورئيس مجلس إداره مجموعة مستشفيات الرحمة، وأخذ منه ميعادًا، وبالفعل تقابل خالد مع ابن الوزير، وقص عليه ماحدث، ووعده ابن الوزير أنه سيتصرف، وفى نفس اليوم الساعة الثانية صباحا، إذا بصوت طرق متتالٍ على باب الشقة، فنهضت أنا وخالد مفزوعيْن. وفتحت الباب، إذا بالشرطة تقتحم البيت، وتم القبض على ابنى، وأنا فى حالة من الذهول، حتى أغشِيَ علىَّ، وبعدها أفاقنى الجيران.

أجريت اتصالًا بعمر المحامى صديق خالد، ووعدنى أنه سوف يذهب إلى القسم ويعرف ما حدث.

خرج عمر من القسم، وجدنى جالسًا أمام القسم على الرصيف، احتضنى وأخذنى إلى البيت وقال لى: "أنا خلصت الموضوع، والصبح خالد هيخرج".

حتى وصلنا إلى البيت، وصارحنى عمر أن خالدًا فى كارثة، وأنه متهم بأنه صدم رجلًا بسيارته، "وبكرة يا حاج أنا هروح وهطلب أشوفه وأعرف منه الحكاية إيه"، وبالفعل ذهب عمر إلى القسم وجلس معه خالد وقص عليه ما حدث. وتأكد عمر أن محمد عز الدين ومدير المستشفى مشتركان فى الجريمة، وعندما عرف خالد ما حدث تم تلفيق التهمة له.

حاول عمر أن يقابل الوزير حتى نجح بالفعل، وقص عليه ما حدث، اكتشف عمر أن الوزير على علم بالموضوع، وقال الوزير بالحرف لعمر: "خليك بعيد عن القضية دى عشان متروحش ورا الشمس، أما صاحبك هنأدبه شوية وهنخرجه عشان مايدخلش فى اللى مالوش فيه".

وأمرت النيابه بحبس ابنى خمسة عشر يومًا، وبعد ذلك تحولت القضية إلى القضاء، ولفَّق محمد عز الدين ومدير المستشفى القضية بصورة محكمة، حتى جاء الحكم على ابنى الوحيد ثلاث سنوات، وشطب اسمه من نقابة الأطباء وعدم مزاولة المهنة.

حينها لم يتحمل خالد الصدمة، وسقط على الأرض ومات، مات ابنى، قتلوه ولاد الكلب اللى مايعرفوش ربنا، كنت بموت كل ليلة بالبطيء، عايز أجيب حق ابنى ومش عارف أجيبه إزاي.

مصدقت إن الشعب خرج واتكلم، أنا جيت هنا يابنى استنجد بيكم واتحامى فيكم، يارب الصبر من عندك يارب" وظل يبكي وجسده كله يرتجف وينوح كطفل صغير، ضممته إلىَّ واحتضنته، وتذكرت كم كان والدى يشعر بالظلم، وأننى لن أترك حقه أبدًا مهما كلفنى الأمر.

(١٩)

كانت ليلة ولا ألف ليلة، كان الجميع فى الميدان ينتظرون خطاب الرئيس بشغف بعد أن سرب بعض قيادات الجيش فى الميدان أن الرئيس سوف يعلن فى خطابه تنحيه عن السلطة.

هل يصبح الحلم حقيقة؟ هل ينتهى زمن الفساد والقهر والظلم للأبد؟ هل تنجح الثورة وتطيح بالنظام؟ هل يصبح الهتاف حقيقة ويسقط النظام؟ هل ينتصر الشعب وتنتصر الإرادة؟ فقد أصبح الشعب على بعد خطوات من تحقيق الحلم.

وبالفعل بدأ الخطاب، ووقف الجميع يسمعون جيدا ما سوف يقال، وكأنهم مشجعون فى مبارة النهائى، وينتظرون صافرة النهاية، ليعلن الحكم انتصارهم.

ظهر الرئيس مجهدًا ومرهقًا، وكأنه لم ينم منذ أكثر من ٧٢ساعة، وبان مرتجفا وغير كل المرات السابقة.

فزاد ذلك من طمأنة المتظاهرين، وعندما انتهى الخطاب ولم يتضمن كلمة التنحى أو أى كلمة تدل على ذلك؛ فى نفس واحد هتف الجميع:

"ارحل ارحل" ورفع الجميع - وكأنهم مدربون على هذا الفعل جيدا - الأحذية؛ اعتراضًا على هذا الخطاب السخيف، كان بالفعل مشهد مهينًا للرئيس ونظامه أمام العالم بأكمله، فبات الميدان ليلة كئيبة.

جلس أحمد بجوار مجمع التحرير فى المكان المحبب له، وهو يكاد يشتعل من شدة الغيظ، وإذا بنور قادمة إلى أحمد، فتظاهر أحمد بابتسامة رسمها على وجهه بصعوبة حتى يرحب بها.

فجلست نور بجواره، وهى تقول بصوت خافت: "عامل إيه يا أحمد".

- أحمد: الحمد لله يانور.

- عرفت اللى حصل؟

- أيوة يانور الرئيس لم يتنح، الرئيس مُصِر على موقفه وبيقولنا اخبطوا راسكم فى الحيط.

بس احنا مش هانسكت احنا لازم...

قاطعته نور: "أحمد أنا مش بتكلم على الخطاب".

انتبه أحمد: "خير فى حاجة تانية حصلت؟ هو يوم باين من أوله"؟

- خير يا نور فى إيه.

- أحمد أنا عندى خبر وحش ليك، بس عايزاك تتمالك أعصابك.

- خير يا نور فى إيه.

- أحمد فى فتاة جاءت إلى المستشفى منذ قليل مصابة بطلق رصاص حى فى قلبها، ولضعف إسعافتنا لم نستطع إنقاذها وانتقلت إلى رحمه الله.

كان يجلس أحمد على ركبتيه فزحف نحو نور ومسك بكتفيها، وهو لا يدرى ما يفعله، وبدأ يرجرج فى نور وبلهفة يقول: "من هى؟ اسمها إيه؟ اسمها إيه انطقى انطقى"؟

- نور: براحة يا أحمد إهدى شوية.

- اسمها إيه؟ بقولك اسمها إيه؟

نظرت نور فى الأرض، ونطقت اسم حرِّيَّة، وإذا بصرخة من أحمد تهز الميدان بأكمله: "لأ حرية مامتتش حرية مش هتموت حرية عايشة".

ودخل بعدها أحمد فى حالة من الذهول، جسده متخشب، لا يتحرك أى عضو فيه، عيناه مفتوحتان على آخرهم، وكأنه شرد عن هذا العالم.

التف بجوار أحمد أصدقاؤه يحاولون أن يفيقوا، وبدأت نور بشيء من الفزع واللهفة تجرى لأحمد بعض الإسعافات الأولية حتى أفاق أحمد بالفعل، وكأنه رجع إلى هذا العالم مرة أخرى، واستوعب ما قالته نور، فانهمر فى البكاء، وهو يقول بصوت يكاد يكون غير مسموع: "عايز أشوفها نفسى أشوفها".

كأنه صوت طفل يبحث عن أمه، قام أصدقاء أحمد بمساندته، ونور معهم ذاهبين إلى المستشفى الميداني، ونور لا يدور فى رأسها إلا أنها تتمنى أن تكون هذه الفتاة فتاة أخرى.

فقد أيقنت أن احمد لا يوجد فى قلبه سوى حرية، لم يحب إلا حرية، حب أحمد لحرية لم يعرفه البشر، وقالت فى بالها: أنا أحب أحمد وأتمنى له السعادة مع الإنسانة التى يفعل كل هذا من أجلها.

بالفعل كان إحساس نور صادقًا؛ تتمنى أن تكون هذه الفتاة ليست بحرية.

دخل الجميع المستشفى الميدانى وهى عباره عن زاوية كانت للصلاة سابقا، ولكن الآن مليئة بالمصابين مستلقين على الأرض يفصل بينهم ملائات وستائر، ويجرى لهم الأطباء الإسعافات اللازمة، ولكن لم يشاهد أحمد كل هذا، مر من أمام الجميع بسرعة البرق، لايشغل باله سوى

حرِّيَّة، وكلما اقترب أحمد من جثمان الفتاة يرتجف ويرتعش خوفا ويبكى كطفل صغير. وهو يقول يارب يارب يارب يارب برحمتك أستغيث. حتى كشفت نور عن وجه الفتاه وحينها سقط أحمد على الأرض. وهو يقول: "الحمد لله الحمد لله حرية عايشة حرية مامتتش، ووجه أحمد انقسم إلى وجهين نصف يبكى والنصف الآخر يضحك كأنه فقد عقله، كان مشهد أحمد خارقًا للطبيعة، مشاعر مختلطة، إحساس لا يستطيع أن يصفه بشر، وإذا بأحمد بصوت آخر يرج الميدان حرية عايشة حرية عايشة، ألف حمد وشكر ليك يارب.

بات الميدان ليلة كئيبة بعد خطاب الرئيس المستفز الخالى من كلمة التنحى التى انتظرها الجميع، ولكن أحمد كرامة أحس بتفاؤل بعد اطمأنانه أن حريه لاتزال حيه ولم تمت.

obeikan.com

(٢٠)

الشمس تشرق وتضيء الدنيا، وتبعث بحرارتها لتدفئ الميدان بعد ليلة شديدة البرودة، وتشعل النشاط فى كل الموجودين.بدأ الشباب ينظمون أنفسهم، ويدورون حول صينية الميدان جرية خفيفة، وكأنه ماراثون رياضى يلتفون حولها بانتظام كحبات لؤلؤ متصلة ببعض، ويدورون فى فلك واحد وهم يهتفون: "حرية حرية حرية"، شد هذا الهتاف انتباه أحمد فاتجه أحمد بناحيتهم وبدأ يدور معهم فى نفس الفلك: "حرية حرية".

ها هو صباح يوم جديد، وبعد فاصل رياضى للمتظاهرين بدأ المتظاهرون فى تناول الإفطار، وعلى الرغم من أن الأعداد كبيرة جدا تصل إلى مئات الآلاف بالميدان، ولكن الإفطار واحد هو الفول بالزيت الحار، والطعمية أم سمسم، والعيش المفقع.

جلس أحمد مع بعض الأصدقاء وبدؤوا يتناقشون عن ما سوف يحدث اليوم، وما هى الخطوة التى لابد أن يفعلوها اليوم.

فـأعلن أحـد الموجـودين عـن نيـة الـبعض فى الميـدان للتوجـه للقصـر الرئاسى للضغط على الرئيس وإجباره على التنحى، ولكن لم يقبل أحمد هذا الاقتراح وقال: "إن الميدان هو وسيلتنا للضغط، لن نترك الميدان حتى لا يحدث أى احتكاك عند القصر الرئاسى، لابد أن نحافظ على سلمية الثورة، مطالبنا نعرضها من قلب الميدان، فالعالم أجمع تتجه أعينه نحو الميدان. ولكن بالفعل اتجهت مجموعات نحو القصر الرئاسى، ومجموعات متجهة إلى مبنى ماسبيرو، وفى تمام الساعة الثانيه ظهرا أصبح الميدان كامل العدد. مئات الآلاف على أرض الميدان، وكأننا فى موسم الحج، وجاء هولاء من كل مكان لأداء الفريضة، وأسطح العمارات التى تحيط بالميدان عليها مئات الأشخاص، وأرشفة العمارات عليها عشرات الأشخاص. العدد داخل الميدان اكتمل، الهتاف أصبح يصل إلى مصر بأكملها: "الشعب يريد إسقاط النظام" حتى دقت الساعة السادسة مساء، وأعلن التليفزيون المصرى عن إصدار بيان هام بعد قليل من مبنى ماسيرو، وقف الجميع أمام شاشات العرض فى الشوارع، ورفع البعض الراديو الذى يحملونه لسماع البيان، مصر كلها فى انتظار ما سيتم إعلانه، وميادين مصر كلها تمتلئ على آخرها.

التحرير بالقاهرة، الأربعين بالسويس، الشوم بالمحلة، والقائد إبراهيم بالإسكندرية. مصر مجتمعة اليوم فى الشوارع، وكلها إصرار أن الثورة لابد أن تنتصر.

أحمد واقف بشموخ وسط المتظاهرين رافع الرأس واليد إلى السماء، ويدعى الخالق أن تكون الليلة هى لحظة الانتصار للثورة، تذكر أحمد شهداء الثوره، تذكر حرية كم تكون سعيدة فى تلك اللحظات، وهنا حدثت المفاجأة... رأى أحمد حرِّيَّة على بُعد أمتار.

ها هى حرِّيَّة موجودة حرية تظهر من بعيد وتقترب من أحمد، ملامح أحمد مندهشة، وفى نفس الوقت ترقص من الفرحة، بدأ احمد يتجه نحو حرِّيَّة بصعوبة بالغة، لم يستطع السير من كثرة الأعداد ولم تستطع أن تسمعه؛ لأن مئات الآلاف يهتفون فى نفس واحد.

وبدأ الخطاب وظهر نائب الرئيس وفى كلمات قصيره أعلن تخلى الرئيس عن منصب رئيس الجمهورية وهنا صرخ أحمد صرخه هزت الميدان بأكمله وهو يقول: "حرِّيَّة حرية" ويهتف الملايين من ورائه: "حرِّيَّة حرية"

وأصبحت حرِّيَّة أملًا يتحقق، حلمًا يتحقق، هدف أكثر من أن تكون رغبة لشخص، أدرك حينها أحمد أن حرِّيَّة كانت ليس حلمه فقط بل جميع من فى الميدان كانوا يبحثون عن حرِّيَّة والجميع اليوم نال الحرية.

حرية هى مصر

حرية هى الوطن

حرية هى الكرامة

حـــــرية هى فرحة الشعب الثائر.

obeikan.com

الفهرس

تقديم وتعريف..... ٥

الاهداء..... ٩

كابوس الرئيس ١١

" ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ "..... ١٩

١--..... ٢١-

٢-..... ٢٧

٣-..... ٣٥

٤-..... ٣٩

٥-..... ٤٣

٦-..... ٤٩

٧-..... ٥٥

٨-..... ٥٩

٩-..... ٧١

١٠-..... ٧٧

١١-..... ٧٩

١٢-..... ٨٥

١٣-..... ٩١

opelkan.com

١٤-.....٩٥
١٥-.....١١٣
١٦-.....١١٧
١٧-.....١٢٣
١٨-.....١٢٩
١٩-.....١٣٣
٢٠-.....١٣٩
الفهرس-.....١٤٣

obeikan.com

هذه الرواية عمل أدبي، وعليه فإن الأسماء و الشخصيات والأحداث تم استخدامها في إطار خيالي، وأي تشابه مع أشخاص فعليين فهو محض صدفة.

obeikan.com

"لا تسجن معرفتك و بادل كتبك"

القراءة هي الحياة، فنحن نقرأ لنتعرف على خبرات وحكايات الآخرين، نقرأ لنتعلم شيء جديد، لنتعرف من قرب على عوالم قد لا نعرف عنها شيء، لذا صديقي القارئ لا تسجن معرفتك وبادل كتبك مع الآخرين.

فلا تجعل هذا الكتاب يقف بين يدك وحدك، فمن خلاله قد تكون أستمتعت، وتذوقت متعة القراءة، وقد تكون تعرفت على شيء جديد، فلا تبخل عن من حولك بهذه المتعة.

موقع دار الكتب

"نحن نحترم الكتاب"

obeikan.com

إصدارات موقع دار الكتب:

١. آية الله الخميني بين الثورة و الطغيان.
٢. قبل أن أموت.
٣. فتاة شرقية.
٤. كاتيا.
٥. شمس.
٦. التعلم النشط.
٧. نبضات مغترب.
٨. رأيت الشيطان.
٩. حل قضية الجبر والاختيار وقضايا آخرى.
١٠. لوزة قطن.
١١. حياة وحنين.
١٢. رحيق العمر.
١٣. عواطف.
١٤. الوهم.
١٥. الاعجاز العلمي في القرآن الكريم.
١٦. تاريخ مصر الفرعونية.
١٧. ديوان البت سعاد.
١٨. الكفايات المهنية للتعليم ما قبل الجامعي.

obeikan.com

١٩. الموعد

٢٠. اذا لم تزد على الحياة شيئا كن انت زائد عليها

٢١. عائدون من بين الانقاض

٢٢. -حذاء جديد

٢٣. حلقات مفرغة

٢٤. يوميات طبيب في وطن مسلوب

٢٥. أصحاب الكرش

٢٦. جئت ورحلت

٢٧. سخصية مصر

٢٨. ديور... ابن الحرب

٢٩. رجل مدخر

٣٠. ليلة فى الرنفة

٣١. استراتيجيات التسويق عبر الفيس بوك

٣٢. يوميات مع نفسى

٣٣. سلسلة القائد المتوازن.

٣٤. يوميات واحد فيس بوكاوى

٣٥. نصف انسان

٣٦. اريد ان اكون زوجة ثانية

obeikan.com